"أبناء بلا صوت"

"أسرار لا تُروى وأرواح لا تُرى"

رواية

احمد كمال التميمي

@AHMEDKT2
009647716760735

"أبناء بلا صوت"

"أسرار لا تُروى وأرواح لا تُرى"

أحمد كمال التميمي

"في عالم مليء بالأسرار، حيث يتقاطع الماضي مع الحاضر، تكشف الأحداث عن خيوط مظلمة كانت مخفية منذ زمن طويل. عندما تبدأ الحقيقة بالظهور، تصبح الأسئلة أكثر حيرة، والظلال أكثر كثافة. في 'أبناء بلا صوت'، كل اكتشاف يحمل ثمنًا، وكل خطوة نحو الحقيقة تقود إلى المجهول."

مقدمة الرواية:

في زاويةٍ نائية من الزمن، حيث تلتقي الأقدار وتتشابك الأنفاس، توجد عائلة محاصرة بين صمتٍ عميق وأسرارٍ قديمة لم تُكشف بعد. العيون التي تحمل ذكريات مريرة، والألسنة التي صمتت عن قول الحق، رغم أن كل شيء كان واضحًا منذ البداية. الأب الذي ارتدى قناعه طوال سنوات، والابن الذي يجد نفسه غارقًا في بحر من الأسئلة دون إجابات.

تبدأ القصة من هناك، من حيث توقفت الحقيقة، من حيث صار الكتمان لغة العائلة الوحيدة. الأبناء، الذين وُلدوا في ظل غموضٍ مخيم، يبحثون عن حريتهم، عن ماضيهم، عن التفسير الذي سيمنحهم القوة لفهم الحاضر.

ما الذي يجعل الأب صامتًا، عاجزًا عن إخراج الكلمات التي حبسها في داخله؟ لماذا أصبح الابن متورطًا في سلوكيات تعكس عبء الماضي، ولا يستطيع التخلص منها؟ وما هي الأسرار التي لا تزال تلعب دورها في خلفية حياتهم اليومية، رغم مرور السنين؟

هنا، في هذا الظل، في هذا الصمت الذي يروي أكثر مما يقول، في هذا الصراع الداخلي بين الحقيقة والخوف، تبدأ القصة التي تكشف عن الأرواح المظلمة التي تسكن في الأركان المنسية. قصة عن التضحية، عن الخيانة، وعن البحث المستمر عن معنى الوجود في عالم مليء بالظلال.

في ظلال الماضي

كان يمر وقت طويل دون أن ينطق أحد. في منزلنا، كان الصوت الوحيد هو صوت الرياح التي تعصف بالأشجار أمام الباب، والموسيقى الهادئة التي كانت تُشغل أحيانًا في المطبخ على صوت الراديو العتيق. لكن شيئًا واحدًا كان دائمًا حاضرًا في كل زاوية من هذا المكان، شيء لا يمكن تجاهله أو تجاهله، وهو الصمت الثقيل الذي كان يسكن بيننا.

كنت أراقب والدي وهو يجلس في الزاوية المظلمة من غرفته، كما اعتاد منذ سنوات. كانت يداه ترتجفان وهو يمسك بكأس الخمر، يتنقل به من فمه إلى الطاولة بحذر كما لو أنه يخشى أن يسقط. عينيه، التي كانت دائمًا مليئة بالذكريات المرة، تفرغ الآن من كل شيء سوى الفراغ. لا كلمة، لا حديث، فقط نظرة ثابتة نحو شيء بعيد جدًا.

"الأبناء سر آبائهم"، كانت هذه المقولة التي كانت ترددها أمي بين الحين والآخر، لكنني لم أكن أستطيع تصديقها. كنت دائمًا أرفض تلك الفكرة، لأنني كنت أشعر أنني مختلف عن أبي. صحيح أنني تورطت في بعض أخطائه، لكنني كنت على يقين أنني لن أكون مثل هذا الرجل

المكسور الذي يجلس أمامي. هل هذا ما صنعه لنا هو؟ هل كنا مجرد انعكاس لخيباته وأخطائه؟

أخي الصغير، كان أكثر هدوءًا مني. لا يطرح الأسئلة نفسها التي طرحتها، بل كان يميل إلى أن يعيش في عوالمه الخاصة. كثيرًا ما كان يغمض عينيه وهو ينظر إلى اللامكان، كأنما يبحث عن إجابة لشيء لا نعرفه.

وفي هذا الصمت، كانت هناك الكثير من الأسئلة التي لم تجد إجابة بعد. ما الذي جعل والدنا يصبح كما هو؟ ما الذي دفعه إلى هذا الطريق الذي لا نهاية له؟ كنت أريد أن أعرف. لكن كانت هناك لحظات فيها، عندما كان ينظر

إلي، أشعر بشيء غريب، كأن هناك علاقة غير مرئية بيننا، شيء يجذبني نحو هذا الجهل المظلم الذي لا أستطيع الهروب منه.

لكن لم يكن هذا هو الأهم في تلك الأيام. الأهم كان ما اكتشفته في أحد الأيام، عندما قررت أن أخرج من ظل هذا الصمت وأبدأ في البحث عن الحقيقة.

ذات يوم، في الساعة التي كان يتسلل فيها الهدوء إلى المنزل، قررت أن أذهب إلى ذلك المكان الذي كنت أسمع عنه كثيرًا، ذلك المنزل الذي كان أبي يقضى فيه أيامه. في كل مرة كان يعود إلى المنزل من هناك، كانت ملابسه كأنها فقدت لامعانها، وعينيه مغلقتين بالكثير من الأسرار. كانت أمي تتجنب السؤال عن هذا المكان، وكأنها تعلم أن الإجابة ستؤذي أكثر من أن تُشفى.

كنت مترددًا في البداية، لكن الفضول كان أقوى مني. كان الأمر يتعلق بأكثر من مجرد مكان. كان يتعلق بالسبب وراء هذا الصمت، بالأسئلة التي ظلت عالقة في رأسي لسنوات. ما الذي دفع أباك للذهاب إلى هناك؟ لماذا لم يحدث أي شيء؟ هل كنا مجرد ضحايا لخياراته السيئة؟

لكن قبل أن أتمكن من الخروج، صادفت جارنا القديم وهو يقف أمام منزله. كان الرجل الذي يعشق التفاصيل، يعرف كل شيء عن الجميع في الحي. "هل تعرف عن ذلك المكان؟" سألته وأنا أمشي نحوه، وجعلته ينظر لي بدهشة.

"أوه، أنت تعني ذلك المكان؟" قال بينما كان يضغط على أسنانه. "إنه ليس مكانًا للأشخاص مثلنا، فقط أولئك الذين يريدون أن يهربوا من واقعهم."

لم أكن أحتاج إلى مزيد من الإيضاحات. لقد كان يكفي ما قاله. كان ذلك المكان ليس مجرد منزل، بل كان يرمز لشيء أكبر، لقرار اختاره أبي، وربما ليس فقط هو من دفع الثمن، بل كل شيء حوله.

كان الوقت قد حان. سأنطلق، سأسير في هذا الطريق المظلم. وسأعرف الحقيقة مهما كانت.

الجو كان خانقًا، والأرض تحت قدمي كانت تمتلئ بالرماد الذي جلبه الشتاء الماضي. عندما قررت أن أذهب إلى ذلك المكان، شعرت بشيء

غريب يتسلل إلى نفسي، كان كأنما هناك شيء ما يمنعني من الاقتراب، لكن في نفس الوقت يدفعني نحو الأسئلة المزعجة التي ظللت أتجنبها طويلاً.

أمشي في الشوارع الضيقة التي لا تزال تحمل رائحة الخبز الطازج المنبعثة من مخبز الحي القديم، لكن لم يكن هناك أي شيء يجعلني أشعر بالراحة. كانت عيون المارة تطاردني، وكأنهم يعرفون أين أنا ذاهب، وكأنهم يشعرون بما أفكر فيه. كان هذا الشعور يزداد مع كل خطوة أخطوها نحو المجهول.

وصلت إلى المكان الذي كان يبدو مألوفًا، ولكن في الوقت ذاته كان غريبًا كأنني لم أره من قبل. كان البيت متواضعًا، يغلب عليه اللون البني الذي أفسده الزمن، وسقفٌ قديم مهدم يظهر منه الضوء الخافت. كانت الأضواء ضعيفة من الداخل، كأنها تشكو من الإهمال، ولكن هناك شيئًا ما في هذا المكان جعلني مترددًا في الاقتراب أكثر.

قبل أن أتمكن من التفكير في شيء آخر، لفت انتباهي الصوت الذي كان يأتي من داخل البيت. صوت ضحك مكتوم، وأصوات أقدام تمشي

فوق الأرضية الخشبية القديمة. كان هناك شيء غير عادي في هذا المكان، شيء يثير القلق في قلبي، حتى أنني بدأت أشعر بالخوف.

قمت بخطوة أخرى نحو الباب. كانت يدي ترتجف وأنا أمسك بالمقبض، وكأنني أتوقع أن يتناثر من ورائه شيء مجهول. لكن قبل أن أفتح الباب، توقفت. في تلك اللحظة، تذكرت كلام جاري، ذلك الرجل الذي كان يعرف كل شيء، عن كيف أن هذا المكان كان وجهًا آخر من الحياة التي اختارها أبي.

لكن هل كانت تلك هي الحقيقة؟ أم أن هناك شيئًا أكبر يخبئه؟

رفعت يدي ببطء إلى الباب وأدرت المقبض. الصوت الداخلي توقف فجأة، كأن كل شيء كان يراقبني. دخلت، وفي لحظة شعرت كأنني دخلت إلى عالم آخر. كان الداخل مظلمًا، محاطًا بالستائر الثقيلة التي كانت تمنع الضوء من الدخول. كانت هناك رائحة غريبة، خليط من العطور الثقيلة والتبغ. كل شيء بدا غريبًا، كأنني دخلت إلى عالم آخر، بعيد عن كل ما عرفته.

في الزاوية، كان يجلس الرجل الذي كنت أسمع عنه كثيرًا، الرجل الذي كان أبي يلتقي به دائمًا. كان يرتدي معطفًا داكنًا وعيناه مليئتان بالحذر والريبة. نظر إلي للحظة ثم ابتسم ابتسامة باهتة كأنما كان ينتظر قدومي.

"أنت هنا أخيرًا"، قال بصوت خافت، وكأن الكلمات كانت تخرج بصعوبة.

لكني لم أستطع الرد، لم أستطع أن أسأله عن شيء. كل ما كان يدور في رأسي هو سؤال واحد: لماذا؟ لماذا هذا كله؟ لماذا اختار أبي أن يتعامل مع هؤلاء الناس، وأن يتورط في هذا المستنقع من الأسرار؟

وفي تلك اللحظة، عرفت أنني كنت على حافة شيء أكبر من مجرد فضول. كنت على حافة اكتشاف شيء قد يغير حياتي إلى الأبد.
الحقيقة كانت هناك، وراء تلك الستائر الثقيلة، بين تلك الجدران التي كانت تروي قصصًا لم تُقال بعد.

الوقت كان قد حان، والاختيار كان أمامي: إما أن أترك هذا المكان وأعود إلى ما كنت أعرفه، أو أن أواجه الحقيقة التي كنت أخشى منها طيلة حياتي.

الفصل الثاني: وراء الستائر

المكان كان كئيبًا أكثر مما توقعت، وبدأت ألاحظ تفاصيل صغيرة كانت تثير القلق في نفسي. الجدران كانت مغطاة بصور قديمة وملونة بألوان باهتة، بعضها كان مهدمًا وكأن الزمن قد ترك عليها آثارًا لا تمحى. كان الهواء في الغرفة ثقيلًا، تتخلله رائحة غريبة، خليط من الدخان والعرق والعطور الرخيصة. أضواء خافتة كانت تتسلل من مصابيح قديمة معلقة على الجدران، تُضيء الوجه القاسي لذلك الرجل الذي كان يراقبني بحذر.

في تلك اللحظة، شعرت بشيء غير مريح يتسلل إلى أعماقي، كأنني دخلت إلى عالم لا ينتمي إلي. هذا المكان، رغم كونه عاديًا في شكله، كان يحمل بين جدرانه أسرارًا ثقيلة، أسرار لم تكن مخصصة لأن أراها، لكنها كانت تتسلل إلى ذهني وكأنها دعوة لا يمكن مقاومتها.

"أنت هنا أخيرًا،" قال الرجل، مشيرًا لي أن أقترب. صوته كان هادئًا، وكأن كل كلمة كانت مخبأة وراء طبقات من الغموض.

ترددت للحظة قبل أن أتحرك، ولكن شيئًا في داخلي كان يدفعني إلى الاقتراب. كان شيء واحد يشغل تفكيري: أبي. كيف انتهى به الأمر في هذا المكان؟ وماذا كان يفعل هنا؟

"هل تعرف لماذا أتيت؟" سألت، محاولًا أن أخفي التوتر الذي كان يملأ صدري.

"أنت تبحث عن إجابات، أليس كذلك؟" قال الرجل بابتسامة غامضة، ثم أضاف: "لكن بعض الإجابات قد تكون أثقل مما تتوقع."

لم أستطع الرد. كانت الكلمات تتأرجح في حلقي، وكأنها لا تستطيع الخروج. كنت أرى صورة أبي تتقافز في مخيلتي، لكني كنت أخشى أن أواجه الحقيقة التي قد تكون أسوأ مما تخيلت.

ابتعد الرجل عن المقعد وأشار لي أن أجلس. لم أستطع أن أرفض، فجلست على الكرسي الخشبي الذي كان يفصل بيننا. كنت أراقب حركاته بعناية، أبحث عن أي علامة تدل على الحقيقة.

"أنت تعتقد أن هذا مكان للغموض والمخاطر، أليس كذلك؟" قال الرجل بلهجة هادئة وهو يراقبني عن كثب. "لكنك لا تعرف الحقيقة بعد. هذا المكان ليس مجرد مكان للعب. إنه ملجأ للأرواح الضائعة، والذين لا يستطيعون العيش في هذا العالم، لكنهم لا يستطيعون أيضًا الخروج منه."

كانت كلماته تحوم في الجو، ثقيلة ومعقدة، وكأنها محاطة بسحابة من السرية. لم أكن أستطيع فهمه بالكامل، لكن كان هناك شيء في حديثه جعلني أشعر أنني على حافة شيء عميق جدًا.

سكت لفترة طويلة، وكأن الأفكار تتراكم في عقله، ثم قال أخيرًا: "أنت تعتقد أن كل شيء يتعلق بالخمر والمراهنات، أليس كذلك؟ أن والدك كان ضحية لحياة غير مستقرة، ولكن الحقيقة أكبر من ذلك."

كان قلبه يدق في صدري بقوة، وكأنني اقتربت من فهم شيء لم أكن مستعدًا له.

"والدك... لم يكن ضحية. كان هو من اختار هذا الطريق، واختار أن يبتعد عن عائلته، عنك. ولكنك، يا ولدي، أنت لست فقط الابن. أنت جزء من هذا الماضي، جزء من اللغز الذي حفره والدك، وكل شيء سيظهر لك قريبًا."

شعرت بشيء ثقيل يهبط على صدري. كان الرجل يتحدث عن أبي بطريقة جعلتني أراه شخصًا آخر، شخصًا لم أكن أعتقد أنه موجود. لم يكن فقط الرجل الذي يحب الخمر ويهرب من حياته، بل كان جزءًا من شيء أكبر من ذلك بكثير.

كنت أفكر في كل ما قاله، وكل ما شعرت به في تلك اللحظات، عندما دخل شخص آخر إلى الغرفة. كان أحد أولئك الأشخاص الذين لطالما

شعرت أنهم يراقبونني دون أن ألاحظ. كان يتنقل بصمت بين الأثاث المتهدم، وجهه مغطى بالظل.

"هل يجب أن أخبره الآن؟" قال الرجل الآخر، لكنني لم أستطع سماع كل الكلمات بوضوح. كان هناك شيء غير مريح في صوته، شيء يزداد غموضًا مع كل ثانية تمر.

نظر الرجل الذي كان يتحدث إليّ إليّ بحذر ثم قال: "لا بأس. سيكون عليه أن يعرف في الوقت المناسب."

لكن تلك الكلمات جعلتني أكثر ارتباكًا. هل كنت حقًا مستعدًا لمعرفة الحقيقة؟ وهل كنت على استعداد لدخول عالم يعكس صورًا مظلمة عن والدي؟

كنت أشعر وكأنني أتحرك في دوامة من الغموض، كل خطوة أخطوها تقربني أكثر من شيء كنت قد ابتعدت عنه طويلاً، شيء لم أرد أبداً أن

أعرفه. كأنما تلك الغرفة التي جئت إليها هي نقطة التحول في حياتي، نقطة من الصعب الرجوع منها.

الشخص الآخر الذي دخل الغرفة كان يقف هناك، يراقبني بعينين غامضتين. أعتقد أنه كان يعرف أكثر

مما يظهره. كانت هيئته مرتبكة بعض الشيء، وكأن هناك شيئًا على وشك الانفجار في الهواء. لكن لم يتحدث، بل اكتفى بالنظر إليّ وكأنما يحاول فهم ما يدور في ذهني.

"والدك اختار هذا الطريق"، قال الرجل الأول مرة أخرى، وكأن الكلمات كانت تتكرر، ولكنها في كل مرة تصبح أثقل. "الطريق الذي لا يعود منه المرء كما كان. لكنه كان يعلم أن هذا ما سيحدث."

لم أتمكن من استيعاب ما كان يعنيه. "لكن كيف؟" همست، وأنا أرى صورة أبي في ذهني، ذلك الرجل الذي لم أكن أعرفه كما كنت أظن. "لماذا فعل ذلك؟"

أجاب الرجل ببطء، وكأن كل كلمة يلفظها هي حمل ثقيل: "لأنه كان يسعى وراء شيء مفقود، شيء كبير، شيء لا يراه الجميع. وهو ليس وحيدًا في هذا. هناك آخرون مثلهم. كانوا يعلمون أن كل شيء سيكلفهم الكثير. لكنهم لم يستطيعوا أن يوقفوا أنفسهم."

كنت أتأمل كل كلمة. "وما هو هذا الشيء؟"

"قوة، أحلام، آمال كانت أكثر من أن يتحملها قلب إنسان. كان يبحث عن ذلك الشيء الضائع الذي لا يستطيع أي شخص آخر أن يدركه. وللأسف، بدأ يظن أن المراهنات، والخمر، وكل شيء من هذا القبيل قد يكون هو الجواب."

كان الحديث يزداد تعقيدًا. شيء بدا لي واضحًا في البداية أصبح مليئًا بالشكوك والظلال. كنت أفكر في نفسي: هل كان أبي هو الذي اختار ذلك الطريق، أم أن الظروف هي التي دفعته إليه؟

فجأة، تغير الجو في الغرفة. الرجل الذي دخل منذ قليل، وبدا أنه يراقبنا من بعيد، بدأ في التحرك. اقترب منا، وبيديه ورقة صفراء قديمة.

"هذه الرسالة كانت من والدك قبل أن يختفي"، قال الرجل وهو يمد يده إليّ. "لكن لا بد لك من فهم الحقيقة كاملة قبل أن تقرأها."

أخذت الورقة منه، وكنت أشعر بشيء غريب يسيطر على تفكيري. الرسالة كانت قديمة جدًا، وقد ظهر عليها تأثير الزمن. كانت الحروف متهالكة، وكأنها قد كُتبت في لحظة يأس.

قرأت الكلمات بصوت خافت:

"ابني، لا تحاول أن تجدني. لا تبحث عني، لأنك إن فعلت، ستكتشف حقائق لا يمكنك تحملها. هناك أشياء لن تفهمها الآن، ولكن سيفهمها

قلبك في وقت لاحق. هناك شيء وراء كل هذا، شيء يجعلني أبحث في هذه الظلال. لا أستطيع أن أشرح لك، لكن تذكر أنني أحبك."

كنت مذهولًا، وكأن الكلمات كُتبت للتو، رغم أنها كانت قديمة. شعرت وكأنني على حافة اكتشاف شيء قد لا أستطيع تحمله. هذه الرسالة كانت تنقل لي جزءًا من الحقيقة، لكنني كنت أعرف في أعماقي أن هناك ما هو أكبر من ذلك.

"ماذا يعني هذا؟" همست.

أجاب الرجل: "أنت الآن على حافة الحقيقة، لكن هل ستكون مستعدًا لما سيأتي؟ هل ستستطيع مواجهة كل شيء كما يجب؟"

لم أستطع الإجابة. شعرت بأنني عُزلت عن كل شيء. كل ما كنت أراه في هذا المكان كان يذهب بي إلى طريق مظلم، طريق لم أكن أستطيع الهروب منه. شعرت وكأنني في قلب شيء كبير جدًا، شيء لا يمكنني تفسيره.

"هذا ما يجب أن تعرفه،" قال الرجل الثاني أخيرًا، وهو يبتعد قليلاً عني، وكأنما هو مستعد لمغادرة الغرفة. "لكن تذكر، لا يمكنك العودة بعد أن تعرف. ولا يمكنك الهروب من الماضي."

كان كلامه يحمل تهديدًا خفيفًا، لكنه كان يحمل أيضًا نوعًا من الإغراء. كان يعرض لي طعم الحقيقة، لكن دون أن يظهر لي كامل الصورة. شعرت بأنني في مفترق طرق. هل أتابع البحث وأكشف المزيد؟ أم أنني سأبقى في الظلام، وأترك الماضي في مكانه؟

خرج الرجل الأول من الغرفة، وتركني وحدي مع أفكاري. لم أكن أعرف ماذا أفعل، لكنني كنت أعلم شيئًا واحدًا: لن تكون حياتي كما كانت أبدًا بعد هذا اليوم.

الفصل الثالث: لحظات الظل

كانت الغرفة مليئة بالهدوء الذي يزعجه الصوت البعيد لقطارات الليل. كلما تذكرت تلك اللحظات التي مرّت بيننا، كلما ازداد الشعور بالكآبة. كنت أجلس هناك، في ظلام غرفتي، وحين أغلق عيني، أرى ذلك المكان الذي ترك فيه والدي سعادته وأحلامه. هذا البيت، الذي تحول بمرور الزمن إلى أحد أشباح الماضي، كان في يوم من الأيام مركزًا لعالمه.

تذكرت كيف كانت أمي تراقبنا بصمت، عيونها مليئة بالحيرة والغضب، كانت ترى أشياءً لم نرها، وتفهم ما لا نفهمه. ومع ذلك، بقيت صامدة، تلمس أيدينا كما لو كانت تعطي لنا الحماية من مصير مجهول. لكنها لم تكن تعرف شيئًا عن الرجل الذي دخل حياتنا بعد سنوات من غياب أبي، وبدأ يغير كل شيء.

"هل هو حقًا أبي؟" تساءلت بصوت خافت، وأنا أراقب ظلاله في كل زاوية من الذاكرة.

في تلك اللحظة، قررت أن أعرف. أن أسحب الستار عن هذه الأسرار المخفية منذ سنوات. وها هي الفرصة أمامي، ولكن كيف؟ كيف أبدأ؟ كل شيء يبدو معقدًا أكثر مما تخيلت.

كنت أستعرض الأحداث واحدة تلو الأخرى. تدريجيًا، بدأت أرى أكثر من مجرد خيوط بسيطة في تلك الشبكة التي كان ينسجها والدي في ظلام الليل. تذكرت تلك الأيام التي كنا ننتظر فيها عودته، ونحن نتخيل ما الذي كان يحدث في تلك الحانات البعيدة، والنوادي التي ذكرها بين الحين والآخر. كان يقول "الرجال الذين لا يفهمون الحياة مثلهم، ينغمسون في كل شيء إلا في شيء واحد... الحقيقة." كنت أحاول أن أفهم تلك الجملة التي تركها لي، كما لو كانت تلميحًا لشيء كان يتخبأ وراء الأبواب المغلقة.

بدأت أفكر في سؤال "من هو الرجل الآخر الذي كان يرافقه؟" لا يمكنني التخلص من تلك الصورة: الرجل ذو الشارب الغليظ، الذي يقف دائمًا أمام الباب كحارس له.

لم يكن مجرد شخص عادي. كان هو المفتاح، أو هكذا كنت أعتقد. كان يعلم أشياءً لا يمكن لأبي أن يعرفها.

مرت الأيام وأنا أراقب، أبحث، ألاحظ كل حركة وكل كلمة يتبادلها من حولنا. كنت بحاجة إلى أن أعرف كيف بدأ كل شيء، وماذا كان ينتظرنا بعد أن يغادر كل شيء، كما رحل. هل كان قد سلب منا المستقبل قبل أن نولد؟ أم أننا فقط لم نكن نعلم كيف نرى الحقائق عندما كانت أمام أعيننا؟

كانت اللحظات التي أمضيتها في التفكير تزعجني أكثر من أي وقت مضى. ولكن مع كل خطوة، كنت أقترب أكثر من ذلك الجواب الذي أحتاجه. والآن، كانت الأسئلة تتراكم بسرعة. وكنت أحتاج إلى إجابات، حتى لو كانت تلك الإجابات تزعجني.

لكن أولًا، كان علي أن أواجه الحقيقة في النهاية.

في تلك الليلة المظلمة، وبينما كانت أصوات الرياح تتسابق مع دقات الساعة، قررت أن أتحرك. لقد حانت اللحظة التي كنت أخشاها لسنوات. كنت مستعدًا لمواجهة ما كنت أتجاهله طوال حياتي، لكن هل أنا مستعد لما سيأتي بعد ذلك؟ كيف يمكن للمرء أن يستعد لتمزيق الستار الذي طالما أخفى الحقيقة؟ الحقيقة التي كانت، طوال الوقت، تتربص بي في الظلال، تنتظر اللحظة المناسبة للظهور.

خرجت بهدوء من غرفتي، وكأنني أخشى أن يكتشفني أحد. شعرت بثقل في صدري، وكأنني أرتدي عباءة ثقيلة من الأسئلة التي لم تجد إجاباتها بعد. توجهت إلى المطبخ، حيث كان الضوء الوحيد الذي أراه في البيت هو المصباح الذي يعلق في الزاوية. أمي كانت نائمة، كما اعتدنا جميعًا أن نعيش في الليل بعيدًا عن الأعين. لكن تلك المرة، كنت أخشى أن تكون الحقيقة أكثر قتامة مما أستطيع تحمله.

ثم، فجأة، رن جرس الهاتف. كان الصوت مفاجئًا، وكأنني كنت أسمع صوتًا يأتي من عالم آخر. رفعت السماعة ببطء، قلبي ينبض في صدري بقوة. "ألو؟"

كان الصوت الآخر خافتًا، لكني تميّزت النبرة على الفور. "أنت بحاجة لمعرفة كل شيء. ليس الآن، لكن قريبًا."

أغمضت عينيّ، شعرت وكأنني أغرق في بحر من الأسئلة. من هو هذا المتصل؟ ولماذا الآن؟ كيف عرف عن نواياي؟

قبل أن أتمكن من الرد، أغلق الهاتف. ولكن لم يكن الهدوء الذي تبع تلك المكالمة هو ما أثار قلقي، بل تلك الكلمات التي تركها وراءه: "قريبًا."

كانت تلك اللحظة هي التي جعلتني أشعر وكأنني قد دخلت إلى عالم آخر، عالم لا أعرف قواعده، ولا أستطيع توقع ما سيحدث بعد ذلك. كان يجب أن أستعد لما هو قادم، حتى وإن كان ذلك يعني مواجهة الجوانب المظلمة من حياتي.

قررت في تلك اللحظة أنني لن أسمح لهذه الأسرار بأن تظل مخفية. كان هناك شيء في أعماقي يصرخ: "الوقت قد حان." كنت على وشك

اتخاذ خطوة قد تغير كل شيء. ولكن ما هي تلك الخطوة؟ أين هي الحدود بين الحقيقة والألم؟

في اليوم التالي، قررت أن أبحث عن ذلك الرجل الذي كان يرافق والدي. كان لدي فكرة عن مكانه، لكنني لم أكن متأكدًا من ماذا سيتعين علي مواجهته هناك. هل ستكون هناك إجابات؟ أم أنني سأكتشف المزيد من الأشياء التي لم أكن مستعدًا لرؤيتها؟

كنت أعلم أنني لن أتمكن من العودة إلى الحياة التي كنت أعرفها بعد أن أكتشف الحقيقة. لكنني كنت مستعدًا للمضي قدمًا، لأنني كنت أحتاج لأن أعرف، ولو كان ذلك يعني أنني سأحطم كل شيء في طريقي.

وأنا أضع قدمي على الطريق، بدأت أشعر بالثقل. ليس ثقل الجسد، بل ثقل الحقيقة التي كانت تقترب مني بسرعة. الحقيقة التي قد تكون أكثر بشاعة من كل ما كنت أتخيله.

الفصل الرابع: ظلال الماضي

كان اليوم التالي يوماً طويلاً. لقد مر الوقت ببطء كأن كل ساعة تمر كانت تحمل عبئاً من الأسئلة الثقيلة. قررت أن أذهب إلى المكان الذي كنت أراه دائماً من بعيد، المكان الذي طالما تجنبته، المكان الذي كان يثير في نفسي مشاعر متضاربة بين الفضول والخوف.

كنت قد سمعت عن هذا المكان كثيراً من جيراننا، ولم يكن أحد يتجرأ على الاقتراب منه. ولكن الآن، لم يعد لدي خيار آخر. كان يجب أن أعرف الحقيقة، مهما كانت العواقب. قررت أن أبدأ الرحلة وحدي، حيث لن يكون هناك مجال للرجوع. كانت قدماي تقوداني في اتجاه واحد فقط، إلى ذلك المنزل البعيد.

كان الطريق طويلًا، لكنني لم أعد أسمع سوى صدى خطواتي التي تدوي في ذهني. هناك شيء في قلبي كان يوشوش لي بألا أستمر. شيء ما كان يحاول أن يوقفني، لكنني تجاوزته بكل إرادة. كنت على استعداد لملاقاة ما كان مختبئًا في الظلال.

وعندما وصلت إلى الباب، وقفت هناك للحظة. كان الباب خشبيًا قديمًا، تحيط به علامات الزمن. أخذت نفسًا عميقًا، ورفعت يدي لطرقه، ولكن فجأة، تراجعت. شعرت بشيء غريب يجتاحني، كأنني لا أستطيع المضي قدمًا. هل كان هذا الشعور خوفًا من مواجهة الحقيقة؟ أم كان شيئًا آخر؟

ثم، فجأة، انفتح الباب من تلقاء نفسه. كانت تلك اللحظة كما لو أن الزمن توقف. في الداخل كان الضوء خافتًا، وعندما نظرت، رأيت رجلاً يجلس في الزاوية، يراقبني بصمت. لم يكن هناك أحد آخر في الغرفة. كان يتحدث بلغة غير مفهومة، وكان يبدو وكأنه ينتظرني. "أنت أخيرًا هنا." قالها بصوت منخفض، كأن كل شيء كان معدًا ليصل إلى هذه اللحظة.

قفز قلبي في صدري، ولكنني أصررت على أن أظل هادئًا. "أين والدي؟" سألته بصوت متوتر.

الرجل ابتسم ابتسامة غامضة، وقال: "أنت تعرف الإجابة، أليس كذلك؟" ثم أشار إلى الزاوية الأخرى من الغرفة حيث كان هناك صندوق صغير مغلق بإحكام. كنت قد سمعت عنه من قبل، لكنني لم أكن أعرف مدى أهميته.

اقتربت ببطء من الصندوق، وشعرت يدي ترتجف عندما لمسته. هل كان هذا هو الجواب على كل شيء؟ هل كان

هذا الصندوق يحمل أسرارًا كانت مخبأة لسنوات؟

بينما كنت في تلك اللحظة، شعرت بشيء غريب يسري في داخلي، كأنني كنت على وشك اكتشاف ما لا يمكن تحمله. ما الذي سيكشفه لي هذا الصندوق؟ وما الذي ستعنيه تلك اللحظة بالنسبة لي ولعائلتي؟

حاولت فتحه، لكن اليد التي كانت تلامس الصندوق توقفت فجأة. كانت هناك لحظة صمت بيني وبين هذا المكان الغريب، وبين الشخص

الذي يقف وراء تلك الأسرار. كنت أشعر وكأنني على حافة الهاوية، وكلما اقتربت، كلما كانت الحقيقة أبعد.

في تلك اللحظة، تذكرت كلمات الرجل: "أنت أخيرًا هنا." هل كنت قد اخترت الطريق الصحيح؟ أم أنني قد وقعت في فخّ لا يمكن الخروج منه؟

أغلقت عيني لفترة قصيرة، وحاولت السيطرة على نفسي. كان عليّ أن أستمر، مهما كانت العواقب.

الفصل الرابع (تكملة): ظلال الماضي

فتح الصندوق ببطء، كان الزمان والمكان يبدوان وكأنهما توقفا للحظة. لكن في داخل الصندوق لم يكن هناك سوى ورقة قديمة جداً، ممزقة الأطراف، تحمل خطوطًا مشوشة وكلمات يصعب قراءتها. ومع ذلك، كان هناك شيء غريب حول هذه الورقة، كأنها كانت تخبرني بشيء أكثر من مجرد حروفها.

لم أستطع مقاومة الفضول. سحبت الورقة بهدوء، وبدأت أقرأ الكلمات بأقصى تركيز. كانت الكتابة مهزوزة، ولكن بعد عدة محاولات، تمكنت من فك ما كان مكتوبًا عليها:

"الظلام قد أتى، وهو يحمل معه ما لا يمكننا تحمله. فالنهاية ليست كما تبدو، ولا تعتقد أن الهروب سيحل أي شيء. في النهاية، ستكون مضطراً لمواجهة الحقيقة. سأنتظرك هناك، حيث لا شيء ينمو في الظلال."

كان هذا النص يرسل رجفة في عروقي. كل كلمة كانت تحمل في طياتها تحذيرًا غير مرئي، كان صوت الرجل خلفي يهمس بنغمة مليئة بالغموض، وكأنه يعلم تمامًا كيف ستؤثر هذه الكلمات عليّ. كانت هناك أسئلة في عقلي أكثر من الإجابات، لكن في تلك اللحظة شعرت بشيء قوي يدفعني إلى الأمام.

"هل تعرف ماذا تعني هذه الكلمات؟" سألني الرجل، وهو يقترب ببطء. كانت نبرته أكثر عمقًا، كأنها تحمل سرًا قديمًا.

"أعتقد أنني بدأت أفهم شيئًا..." همست، لكنني لم أكن متأكدًا من نفسي. كان شعور غريب يراودني، كأنني كنت جزءًا من لعبة أكبر مني.

الرجل نظر إلي بابتسامة حزينة. "إنها أكثر من مجرد كلمات، يا بني. هي عبارة عن رسالة، رسالة تم إرسالها منذ وقت طويل، وعندما تقرأها، ستكون قد دخلت إلى اللعبة. لا يمكن الرجوع الآن."

كانت الكلمات تتردد في ذهني، وكأنها كانت تلاحقني. أغمضت عيني للحظة محاولاً أن أستجمع أفكاري، لكنني شعرت بشيء آخر يلمس قلبي. هل كنت مستعدًا لمعرفة الحقيقة؟ هل كنت مستعدًا للغوص في ظلال الماضي التي كانت قد خُفيت عني طوال حياتي؟

"ما الذي يحدث هنا؟" سألته بصوت متقطع، ولكن الرجل لم يرد. كان يبدو وكأنه ينتظر شيئًا آخر، كأن هناك لحظة معينة يجب أن أعيشها قبل أن أتقدم إلى الخطوة التالية.

فجأة، سمعت صوتًا يأتي من الباب خلفي. شخص آخر كان يدخل الغرفة. نظرت بسرعة، وإذا به شخص كان مألوفًا لي. كان والدي.

ولكنه لم يكن كما تذكرته. كان يبدو وكأنه مرّ عليه زمن طويل في عالم آخر. لم تكن عينيه كما كانت من قبل. كان وجهه شاحبًا، كأن الحياة قد سلبت منه شيء ما.

"أنت هنا أخيرًا." قالها بصوت ضعيف، كأنه كان ينتظرني. "كل شيء قد انتهى، ولا مجال للهروب."

كانت هناك نظرة غريبة بيننا، كأنها كانت تشير إلى أن الوقت قد حان لمعرفة ما كان مخفيًا طوال هذه السنوات.

كنت في تلك اللحظة، بين حافة الحقيقة والضياع.

الفصل الخامس: مفترق الطرق

كنت واقفًا في منتصف الغرفة، بين حيرة الماضي وتوجس المستقبل. والدي، الذي لم أره على هذا النحو من قبل، كان يقف أمامي وكأن ملامحه قد تغيرت. لم يكن ذلك الرجل الذي كنت أعرفه، الذي عاش في عالم من الظلال، بل كان شخصًا آخر، أحدهم قد فقد شيء كبير، شيء لا يمكن استعادته.

"كيف؟ لماذا؟" كانت الأسئلة تتسارع في ذهني، لكنني لم أستطع أن أنطق بها. كانت الكلمات تضيع في فمي، وأحسست بحيرة لا أستطيع الهروب منها. هل كان هذا هو نفس الرجل الذي كان ينزوي في غرفته كل ليلة، يخفي عني وعن العالم سرًا عميقًا؟ هل كان هو من بعثني إلى هذا الطريق المظلم دون أن أعلم؟

أجابني والدي بصوت هادئ، لكنه كان يحمل ثقلاً أكبر من أي وقت مضى: "أنت لا تعرف بعد، ولكنك ستعرف.

الحقيقة التي كنت أخفيها عنك طوال هذه السنوات، الحقيقة التي كانت تشكل حياتي... الآن حان الوقت لتكتشفها."

تراجع الرجل الذي كان يقف بجانبي، الذي كان منذ قليل يحمل الابتسامة الغامضة، واختفى في الظل وكأنه جزء من هذا المشهد الذي بدأ يتأخذ طابعًا أكثر غرابة. الآن، كنت وحيدًا مع والدي، في هذه الغرفة التي أصبحت غير مألوفة بالنسبة لي، رغم أنها كانت المكان الذي نشأت فيه.

"لكن... ما الذي تقوله؟ ما هي الحقيقة؟" همست بالكلمات التي كانت تخرج من فمي بصعوبة. كان في عينيه شيء من الندم، شيء من العجز، وكأن الزمن قد مر عليه وهو يحاول جاهدًا أن ينسى أو أن يهرب من شيء أكبر من كل ما عاشه.

والدي أخذ خطوة نحوي، وكان في عينيه نظرة غريبة، وكأننا في لحظة فاصلة لا يمكن العودة منها. "أنا كنت أعيش في ظل. ظل لا نهاية له. كان لي عالم من الأكاذيب، وعالم من الخوف. لم أرد لك أن تعرف ذلك،

لأنني أردت أن تحيا حياة أفضل، حياة بلا ظلال. لكن... كل شيء تغير الآن."

كانت تلك الكلمات تتسلل إلى عقلي وكأنها تفتح أمامي أبوابًا كانت مغلقة طوال حياتي. ماذا كان يعني بالظلال؟ ولماذا كان يعتقد أنني لن أكتشف ما كان يخفيه عني؟ كانت الأسئلة تتصاعد بسرعة، حتى أنني شعرت كأنني لا أستطيع التنفس.

لكنني تمالكت نفسي وقلت له: "لماذا أخفيت عني كل شيء؟ لماذا لم تقل لي الحقيقة؟"

ابتسم ابتسامة حزينة، وعيناه تلمعان بشيء من الندم. "لأنك لم تكن مستعدًا. لأن الحقيقة قاسية، وقد تجعلك ترى هذا العالم بشكل مختلف. ولكن الوقت قد حان لتعلم."

في تلك اللحظة، شعرت بشيء غريب يحيط بنا، وكأننا قد دخلنا في عالم آخر. كانت هناك قوة غير مرئية تحيط بنا، قوة جعلتني أدرك أن الطريق الذي اخترته قد لا يكون طريقًا للعودة.

الفصل الخامس (تكملة)

كنت أشعر وكأنني أستطيع سماع دقات قلبي تملأ الغرفة، كل كلمة من كلمات والدي كانت تتساقط على أذني مثل أمواج البحر العاتية، تسحبني إلى أعماق لا أعرف عنها شيئًا. كان صوته يزداد خفوتًا، وكأن الكلمات نفسها كانت تُثقل لسانه.

"كنت أعتقد أنني أستطيع حماية كل شيء... لكنني أخفقت. والآن، لا يوجد شيء يمكنني فعله سوى أن أتركك تعلم بنفسك."

كان الصوت يتسرب من فمه وكأنه يأتي من مكان بعيد جدًا، حيث الزمن ليس شيئًا ثابتًا. لا أستطيع أن أقول إنني فهمت كل شيء، ولكن كانت هناك إشارات، إشارات صغيرة تُلمح إلى أن والدي كان يحمل عبئًا ثقيلًا منذ سنوات، شيئًا لا يخصه فقط، بل كان جزءًا من عائلتنا، ومن ماضيه، ومن كل شيء اعتقدت أنني أعرفه.

في تلك اللحظة، رأيت صورة واضحة في ذهني، صورة لشيء غامض كان دائمًا خلف الأبواب المغلقة. شيء كنت أظنه بعيدًا عني، لكن الآن أصبح في متناولي. كانت الصورة تتشكل أمامي ببطء، كأنها لوحة قديمة تُكشف تدريجيًا.

والدي لم ينظر إليَّ مباشرة، بل كان يحدق في الأرض وكأن هناك شيئًا ما يشده بعيدًا عني. "كل شيء بدأ عندما قررت أن أختار طريقًا آخر. كنت في البداية أظن أنني قادر على تغيير حياتي، أنني قادر على أن أعيش كما أريد. لكنني أخطأت."

توجهت إليه، محاولًا أن ألتقط كل كلمة منها، وكأنني على وشك أن أجد مفتاحًا لفهمه، لماضيه، ولما وصلنا إليه اليوم. "ماذا تعني؟ ماذا كان هذا الاختيار الذي اتخذته؟"

والدي نظر إلي أخيرًا، وكانت عينيه مليئة بالندم الذي لا يمكن تفسيره. "كنت أعتقد أنني يمكنني الهروب من كل شيء. من الفقر، من الصعوبات، من كل ما كان يقيدني. لكنني تعلمت لاحقًا أن الهروب لا يغير شيئًا. الهروب يخلق فقط خيوطًا لا نهاية لها من الكذب والخداع. وإذا كنت تبحث عن الحقيقة، فإنك لن تجدها في أي مكان سوى هنا، في هذا الظل."

كانت هذه الكلمات تتردد في عقلي كما لو كانت تحمل جروحًا قديمة، جروحًا مر عليها الزمن، لكنها لم تلتئم أبدًا. "ألم تفكر فينا؟ في عائلتك؟ في المستقبل الذي كنت تخطط له لنا؟"

بابتسامة حزينة، هز رأسه. "كنت أفكر في نفسي أولًا، وأنت تعرف ذلك. لكنك ستفهم لاحقًا. أنت الآن في مفترق الطريق، وهذا هو الوقت الذي يجب أن تقرر فيه: هل ستظل تسير في الطريق الذي يسلكه الجميع أم أنك ستنحت طريقك الخاص؟"

قلت بصوت غير ثابت: "لكن ماذا عنك؟ هل ستظل في هذا الظل إلى الأبد؟"

والدي كان صامتًا لوهلة، ثم قال بصوت ضعيف: "لا، لا أستطيع أن أظل هكذا. لكنني لا أستطيع أن أغير ما فعلته أيضًا. فقط عليك أن تتعلم كيف تواجه ظلك، وكيف تجد النور في قلب الظلام."

ثم خرج من الغرفة، تاركًا إياي غارقًا في تساؤلات لا تنتهي، وكأنني دخلت إلى عالم آخر، عالم مليء بالظلال التي لم أكن أراها من قبل. كل شيء أصبح غامضًا، وكل شيء حولي أصبح مشوشًا. والدي، الذي كنت أظنه المثال الوحيد الذي يمكنني اتباعه، كشف لي عن جانبه المظلم، عن الأشياء التي أخفها عني طوال سنوات.

لا أستطيع أن أقول إنني فهمت تمامًا، لكنني بدأت أرى الطريق الذي قد أضطر للسير فيه. لم يكن طريقًا سهلًا، بل كان مليئًا بالتحديات والأسئلة التي لا جواب لها، ولكن شيئًا ما في داخلي أخبرني أن هذا هو الطريق الذي يجب أن أسلكه، مهما كان مليئًا بالظلال والشكوك.

وكانت تلك اللحظة هي بداية رحلتي الخاصة، رحلتي في عالم مليء بالأسرار، حيث لا أحد يستطيع أن يخبرني بما سيحدث بعد ذلك.

الفصل السادس: الظلال التي لا تُرى

الرياح كانت تعصف في الخارج، وأصواتها تعكس حالة الفوضى التي كانت تعم داخلي. لم يكن ذلك اليوم مختلفًا عن غيره، ولكن كان هناك شيء في الجو جعل كل شيء يبدو ثقيلًا، كأن الحياة نفسها كانت تتنفس بصعوبة.

في الأيام الأخيرة، بدأت أشعر أن والدي أصبح بعيدًا أكثر، ليس جسديًا فقط، بل روحيًا وعاطفيًا أيضًا. كلما حاولت الاقتراب منه، كان يبتعد أكثر. وكأن هناك حاجزًا غير مرئي بيننا، حاجز صُنع من الصمت والندم، لا يمكن اختراقه.

دخلت إلى غرفتي وأغلقت الباب خلفي. كانت هناك أشياء في رأسي، أفكار تلاحقني كما لو كانت طيفًا لا يفارقني. لا أستطيع أن أتوقف عن التفكير فيما قاله لي والدي في ذلك اليوم، وكأن كلماته كانت علامة على شيء ما، شيء لم أفهمه تمامًا بعد.

جلست على سريري وأغمضت عيني، محاولة التركيز على كل شيء، على كل جزء من حديثه. "أنت الآن في مفترق الطريق." كانت تلك الجملة تتردد في ذهني، وكأنها رنين جرس في أذني لا يتوقف.

مفترق الطريق. لم أفكر في ذلك كثيرًا من قبل. طوال حياتي كنت أسير على الطريق الذي رسمه لي والدي، الطريق الذي كان يعتقد أنه الأفضل لي. لكن الآن، وبعد أن اكتشفت بعض الحقائق، بدأ يتبين لي أن الطريق الذي كنت أسير فيه لم يكن هو الطريق الذي أريده. بل كان مجرد وهم، مجرد محاولة منه للهرب من شيء أكبر بكثير من قدرته على تحمله.

كيف يمكنني أن أكون نفسي في هذا العالم، في هذا الظل الذي وضعني فيه؟ كيف يمكنني أن أجد طريقي الخاص وسط هذه الفوضى؟

كان هناك شيء واحد فقط يمكنني أن أفعله: البحث. لا أستطيع أن أبقى في الظلام إلى الأبد. يجب أن أكتشف الحقيقة، وأعرف ماذا حدث لوالدي، وماذا أخفى عني طوال هذه السنوات.

كانت الأيام تمر ببطء، وكلما مر يوم، كان يبدو أن الجواب يبتعد أكثر. لكنني شعرت أنني على حافة اكتشاف شيء ضخم، شيء سيغير كل شيء في حياتي.

كنت بحاجة إلى أن أفهم ماضي والدي، لأن ماضيه كان مفتاحًا لفهم كل شيء حولنا، لكل شيء في حياتنا التي بدأت تتفكك.

وفي تلك الليلة، قررت أن أبحث. لم يكن لدي أي فكرة عن أين أبدأ، ولكن شيئًا ما في داخلي كان يصرخ: ابحث، ستجد ما تبحث عنه.

وكانت تلك اللحظة التي قررت فيها أن أفتح كل الأبواب المغلقة. تلك اللحظة كانت بداية رحلة لا رجعة فيها. الرحلة التي ستأخذني إلى عوالم مظلمة، إلى أماكن لم أتخيل يومًا أنني سأصل إليها. رحلة مليئة بالأسرار التي لم تُحكى، ولحظات ضائعة في الزمن.

لكني كنت مصممًا على المضي قدمًا، على كشف الحقيقة مهما كانت العواقب.

الفصل السابع: الحافة المظلمة

مرت الأيام بشكل أسرع مما كنت أتوقع، وكأنني كنت أتحرك في دوامة من الأفكار والمشاعر التي لا يمكن إيقافها. كنت أبحث في كل زاوية، أتسائل عن كل شيء يبدو غامضًا في حياة والدي، ولكن الحقيقة كانت تتكشف أمامي ببطء، وكأنها قطعة ألغاز يتطلب حلها مجهودًا أكبر من أي وقت مضى.

في تلك الليلة، عندما عدت إلى البيت بعد يوم طويل من البحث في الأماكن التي كان يتردد إليها والدي، كان لدي شعور قوي بأنني على وشك الاقتراب من شيء مهم. شيء قد يغير كل شيء.

دخلت إلى غرفتي وفتحت صندوقًا قديمًا كان يحتفظ فيه والدي بكل ما يتعلق بماضيه. أشياء قديمة، أوراق مهملة، صور قديمة وصفراء كانت تعكس لحظات مضت. لكن شيء واحد جذب انتباهي؛ كان هناك خطاب قديم للغاية، مكتوب بخط يده.

فتحته بحذر. الكلمات التي قرأتها كانت غريبة ومرتبكة، وكأنها كلمات لا تنتمي إليه. "لقد كان الطريق الصحيح. لكن في النهاية، سأظل في الظل." تلك الجملة كانت كالصاعقة في عقلي. ماذا يعني هذا؟ هل كان والدي يختبئ في الظل طوال حياته؟ هل كانت تلك رسالته الأخيرة التي لم أكن أستطيع فهمها حتى الآن؟

أغلقت عيني، محاولًا استيعاب كل شيء. كنت أقف على الحافة، على حافة اكتشاف شيء يمكن أن يغير حياتي للأبد. شيء قد يكون أخطر مما كنت أتوقع. لكن شيئًا في داخلي كان يصرخ، يدفعني للذهاب إلى أبعد من ذلك.

في صباح اليوم التالي، قررت أن أذهب إلى المكان الذي كانت تحدث فيه جميع هذه الأشياء. مكان كان بالنسبة لي مثل اللغز الكبير، مكان لم أكن أعرف عنه الكثير، لكنه كان مرتبطًا بشكل غامض بكل ما كان يحدث.

وصلت إلى المكان الذي كان يحتفظ فيه والدي بأسراره، وكان عبارة عن منزل قديم على أطراف المدينة. كانت نوافذه مغلقة، والأبواب مغلقة بإحكام، كأنها تحاول إخفاء شيء ما.

دخلت من الباب الخلفي. كان كل شيء هناك هادئًا جدًا، كما لو أن المكان نفسه كان يحمل في طياته سرًا عميقًا. كانت الجدران مغطاة بالغبار، والسقف كان منخفضًا وكأنه يوشك على الانهيار. لكن وسط كل ذلك، كان هناك شيء يجذبني. شيء ما في هذا المكان، في تلك الغرف المهجورة، كان يخبرني أنني على وشك اكتشاف الحقيقة.

صوت خطواتي كان يتردد في المكان الفارغ، وقلبي كان ينبض بسرعة أكبر مع كل خطوة أخطوها. وفي إحدى الغرف المظلمة، وجدت ما كنت أبحث عنه: صندوق خشبي قديم، مغلق بإحكام.

تقدمت نحوه، ويداي ترتعشان. فتحت الصندوق بحذر، وكل ما كنت أتوقعه هو أوراق قديمة أو شيء تافه. لكن ما وجدته كان أكثر من ذلك. كان هناك دفتر مذكرات، مكتوب عليه اسم والدي.

فتحت الدفتر، وقرأت الكلمات المكتوبة بداخله. كانت تلك الكلمات تروي قصة مختلفة تمامًا عن التي كنت أعتقدها. كل صفحة كانت تحمل تفصيلًا عن حياة والدي المخبأة، عن صراعاته، عن رحلته في الظلام الذي اختار أن يعيشه.

كانت تلك المذكرات تروي عن عالم كان يحاول الهروب منه طوال حياته. عالم من الخيانة، والشياطين الداخلية، والأسرار التي لا يجب أن تُكتشف. كانت المذكرات تروي عن سر قديم، سر كان يهدد كل شيء حوله.

وعند قراءة آخر صفحة، أدركت أنني كنت على وشك معرفة الحقيقة، لكن الحقيقة هذه لم تكن مجرد كلمات على ورق. كانت أكثر من ذلك. كانت واقعًا كان يختبئ خلف ظلال لم أكن أستطيع رؤيتها.

كل شيء بدأ يتضح الآن.

عيني كانت مشدودة إلى الكلمات الأخيرة في دفتر المذكرات، وكأنها تهمس لي، تدعوني لاستكشاف ما وراء السطور. كان والدي يتحدث عن "اللحظة الأخيرة" – لحظة غيّر فيها مسار حياته بالكامل، اللحظة التي اتخذ فيها القرار الذي لا عودة عنه. كلماته كانت مختلطة بين الندم والخوف، وبين الاعتراف بشيء كبير كان يخفيه لسنوات طويلة. لكن، كان هناك شيء غامض حول هذه اللحظة، شيء لم يكتبه مباشرة، ولكنه كان واضحًا من بين الأسطر.

الصفحة الأخيرة كانت موقعة بتاريخ قديم جدًا، وتحتها كان هناك رمز غريب، مثل علامة سرية. ظللت أتأمل في هذا الرمز، وهو يبدو مألوفًا لكنني لم أستطع تذكر مكان رؤيته من قبل. كان يبدو وكأنه يشير إلى شيء معين، شيء بعيد.

أغلقت الدفتر بسرعة، وكأنني اكتشفت سرًا كان أفضل لي لو لم أكن قد عرفته. لكنني كنت مدفوعًا بقوة غريبة للاستمرار. لا يمكنني العودة الآن، لا يمكنني الهروب من هذه المعرفة التي اكتشفتها. شيء ما في داخلي كان يقول لي إنه لا مفر من متابعة هذا الطريق المظلم.

خرجت من الغرفة القديمة وركضت إلى الخارج، لألتقط أنفاسي في هواء المدينة البارد. فكرت في والدتي، في الحياة التي كنا نعيشها معًا، في الحقيقة التي كنت على وشك اكتشافها. كنت أدرك أن كل شيء كان جزءًا من لغز أكبر من قدرتي على استيعابه. والدي لم يكن مجرد رجل يختبئ وراء سر، بل كان ضحية لعالم مظلم أكبر منه بكثير.

في تلك اللحظة، شعرت بشيء غير تقليدي في الهواء، شعرت وكأنني كنت أسمع خطوات وراءي. التفت بسرعة، ووجدت نفسي أمام شخص لم أكن أتوقع رؤيته: جارنا، ذلك الرجل الذي كان دائمًا يراقبنا بصمت. كان يقف هناك في الظلال، ينظر إليّ بنظرة غريبة، كأنما كان ينتظر أن أدرك شيئًا مهمًا.

"كنت أعلم أنك ستكتشفه في يوم ما." قال بصوت هادئ، لكن عميق، محمّل بالكثير من المعاني التي لم أكن أفهمها بعد. "لكن هل أنت مستعد لما ستراه؟"

كلمات جارنا كانت ثقيلة كالصخور، وكأنها تدفعني لمواجهة شيء أكبر من أن أستوعبه. وقفت عاجزًا أمامه، لا أستطيع أن أفهم حقيقة ما يعنيه. هل كان يعلم ما يحدث؟ هل كان جزءًا من هذا السر المظلم الذي اكتشفته؟

نظر إليّ طويلاً قبل أن يبتسم ابتسامة غامضة، ثم أضاف: "لن تعرف كل شيء الآن. ولكنك ستعرف قريبًا. عليك أن تكون جاهزًا لمواجهة الحقيقة، مهما كانت مؤلمة."

كان الحديث معه مربكًا. لم أكن أعرف هل كان يحاول أن يساعدني، أم كان يحاول أن يجعلني أغرق في الظلمات التي يعيش فيها. لكن شيء واحد كان مؤكدًا: كل خطوة جديدة كنت أخطوها، كانت تقربني من سر لم يكن مفروضًا عليّ أن أعرفه.

أعدت الدفتر إلى مكانه، وقررت أن أبحث عن هذا الرمز الذي وجدته. ربما كان هذا هو المفتاح لفهم كل شيء.

بينما كنت أعود إلى غرفتي، كان عقلي مشغولًا بالأفكار التي لا تنتهي. لماذا اختار والدي أن يترك لي هذه المذكرات؟ ولماذا تلك الرسالة الغامضة؟ لماذا هذا الرمز الذي لم أتمكن من تفسيره بعد؟ والأسئلة تتزايد في رأسي مثل دوامة لا تنتهي، تدور في محيط مظلم من الغموض.

لكني كنت على وشك أن أكتشف أن هذه المذكرات ليست مجرد دفتر مذكرات عادي. كانت هي الخريطة التي ستقودني إلى أعماق التاريخ العائلي، إلى أسرار لم يجرؤ أحد على كشفها، إلى ماضٍ مظلم كان والدي يحاول الهروب منه طوال حياته. ولكني، بما أنني كنت ابنه، كان عليّ أن أواجهه. هذا هو الميراث الذي تركه لي.

في اليوم التالي، قررت أن أبحث عن أي شيء قد يساعدني على فك شفرة الرمز الذي اكتشفته. كنت أبحث بين الأشياء القديمة في منزلنا، حتى وصلت إلى غرفة كانت مغلقة دائمًا. لم أتذكر أبدًا أنني رأيت هذه الغرفة مفتوحة من قبل. كانت هناك قطعة أثاث ضخمة، لا أذكر كيف كانت تبدو، لكنني شعرت بشيء غريب عند الاقتراب منها.

فكرت في كسر القفل، لكن شيئًا داخلي قال لي أن هذا ليس هو الحل. قررت أن أذهب إلى حيث كنت قد رأيت جارنا للمرة الأخيرة، علّه يملك فكرة حول هذا الرمز. ربما يعرف شيئًا أكثر مما يظهره. شعرت أنني بحاجة إلى المزيد من الإجابات، وأنه وحده يمتلك المفتاح لحل هذه الألغاز.

عندما وصلنا إلى بيته، كانت الأجواء هادئة كالمعتاد. ولكن هناك شيء ما كان مختلفًا اليوم. كانت نظراته مشبعة بالحذر، وكأنني كنت على وشك اكتشاف شيء لم يكن من المفترض أن أعرفه.

"لم أتوقع أن تأتي هنا مرة أخرى." قال وهو يراقبني بعينيه الباردتين. "لكن بما أنك هنا، لابد أنني أخبرك بشيء."

"أخبرني عن الرمز." قلت له بنبرة أكثر حزمًا مما شعرت به في داخلي. "هل تعرف ماذا يعني؟"

تردد قليلاً، ثم تنهد. "أعلم أنك على وشك الدخول في شيء أكبر مما تستطيع تحمله. لكن بما أنك قررت، فلا مفر." ثم أضاف وهو يتجه نحو مكتبه: "هذا الرمز... هو المفتاح، لكنه أيضًا لعنة. ولست الوحيد الذي يبحث عنه."

كان حديثه محيرًا أكثر مما كنت أتوقع. شعرت وكأنني أغرق في بحر من الكلمات المربكة التي تحاول إخفاء الحقيقة أكثر من أن تكشف عنها. "من يبحث عن هذا الرمز؟ ولماذا هو لعنة؟"

أجاب بصوت منخفض، وكأن الكلمات كانت تخرج بصعوبة من بين شفتيه: "هناك من سيحاول أن يوقفك. سيحاولون إخفاء الحقيقة عنك، لكن عليك أن تجدها. كل شيء يعتمد عليك."

قبل أن أتمكن من سؤال المزيد، توقف فجأة. كانت هناك ضجة في الخارج، صوت خطوات تقترب من الباب. "لا تذهب إلى هناك." قال بصوت جاد. "ليس الآن، ليس بعد."

لكن فضولي كان أكبر من أي تحذير. دون أن أستطيع منع نفسي، توجهت إلى الباب. كانت الحياة تزداد تعقيدًا، وكلما اقتربت من الحل، كلما ازداد الغموض حوله. كان العالم من حولي يضيق، وكل شيء كان يشير إلى أنني دخلت في لعبة أكبر بكثير مما كنت قد تصورت.

لكنني لم أعد قادرًا على التراجع.

الفصل الثامن: ما وراء الأبواب المغلقة

لم أستطع التوقف عن التفكير فيما قاله جارنا، كلمات تلاحقني في كل لحظة، وكأنها شبح يطاردني. "هناك من سيحاول أن يوقفك." ما الذي يعنيه؟ ولماذا كانت هذه التهديدات تتوالى من جميع الاتجاهات؟ في تلك الليلة، لم أستطع أن أنام. كنت أستعرض في ذهني كل اللحظات التي مرت، وكل الحكايات التي سمعتها عن أبي، كل خطوة أخذها وكل قرار اتخذه.

لم أكن أعرف الكثير عن ماضيه، لكنني الآن، من خلال هذه المذكرات وهذه الرموز الغامضة، بدأت أشعر أنني أكتشف شيئًا لم يكن من المفترض أن أكتشفه. كانت القصة أعمق مما كنت أتخيل، والشخصيات أكثر تعقيدًا. أبي، الرجل الذي لطالما اعتقدت أنه يعرف كل شيء عن الحياة، كان له جانب مظلم لم أكن أعرفه.

في اليوم التالي، قررت أن أعود إلى تلك الغرفة المغلقة. كان شعور غريب يسيطر عليّ، وكأنني أقترب من نقطة تحول ستغير كل شيء. وعندما اقتربت من الباب، شعرت بشيء يشدني إليه. ليس فقط

الفضول، بل كان هنالك شعور داخلي بأن هذه الغرفة تحتوي على الإجابة التي أبحث عنها. كانت حياتي قد وصلت إلى مفترق

طرق، وكأن هذه الغرفة هي المكان الذي سيكشف لي ما وراء كل هذه الأسئلة.

فكرت في أن أعود إلى منزل جارنا لأحاول أن أفهم أكثر، لكن شيئًا ما جعلني أتردد. كنت بحاجة إلى معرفة الحقيقة بنفسي. لم أعد أرغب في أن أكون مجرد شاهد على الأحداث؛ كنت أرغب في أن أكون جزءًا من القصة. كنت بحاجة إلى أن أواجه المجهول.

عندما فتحت الباب، وجدت الغرفة مليئة بالغبار والظلام. كانت هناك أشياء قديمة مكدسة هنا وهناك، بعضها كان يغطيه القماش الأبيض، والبعض الآخر كان ملقى على الأرض. كان المكان يبدو مهجورًا، لكنه كان يحتوي على شيء يجعلني أشعر وكأنني دخلت إلى مكان محظور.

ثم رأيت ذلك الكائن، الشيء الذي كان يلمع في الزاوية. كان صندوقًا قديمًا للغاية، مغلقًا بشكل محكم، وكأن الزمن نفسه قد أوقف تدفقه حوله. كانت هناك رموز محفورة على سطحه، الرموز نفسها التي رأيتها في المذكرات. قلبت الكائن في يدي، وعرفت في تلك اللحظة أنني كنت على وشك فتح باب كان ينبغي أن يظل مغلقًا.

كان الصندوق يحتوي على وثائق قديمة وصور باهتة. ولكن وسط هذه الأشياء، كان هنالك رسالة أخرى، مكتوبة بخط يد والدي. لكن الكلمات لم تكن مفهومة تمامًا. كانت محيرة، أشبه برموز، وأرقام متداخلة.

بينما كنت أتأمل الرسالة، شعرت بحركة خلفي. التفت بسرعة، وإذا بشخص يدخل الغرفة. كانت أمي.

"ماذا تفعل هنا؟" قالت بصوت منخفض ولكنها كانت تحمل في عينيها نظرة خوف لم أرها من قبل.

أجبت بصوت مرتجف: "أريد أن أفهم، أمي. أريد أن أفهم ماذا يحدث."

لكنها كانت تعرف أكثر مما كنت أتصور. توقفت للحظة، ثم قالت: "لا تفتح هذا الصندوق. ما بداخله أكثر خطورة مما تعتقد. والديك، نحن... نحن لم نكن فقط ضحايا للظروف. كان هناك شيء أكبر من ذلك."

في تلك اللحظة، أدركت أنني قد دخلت إلى عمق شيء لم يكن من المفترض أن أفهمه بعد. شيئًا كان يهدد حياتي وحياة كل من حولي. وحينها، أدركت أنني لا أستطيع التراجع. كانت الأبواب قد أغلقت أمامي، ولم يكن أمامي سوى المضي قدمًا.

"لكنني يجب أن أعرف، أمي. يجب أن أعرف الحقيقة."

قالت أمي بصوت منخفض، يكاد يختفي بين همساتها: "أنت لا تفهم، إن معرفتك بالحقيقة قد تؤذيك أكثر مما تتخيل. هناك أشياء في هذه العائلة لا يجب أن تعلمها، أشياء لو تعلمتها قد تغير كل شيء بالنسبة لك."

كنت لا أستطيع أن أوقف نفسي عن الاستمرار في البحث. كانت كلماتها تلتف حولي كالأشواك، وكلما اقتربت من الإجابة، كلما ازدادت

القسوة في نبرتها. شعرت أنني على وشك اكتشاف شيء كبير، لكنني لم أكن متأكدًا إذا كان الأمر يستحق المخاطرة.

"ما الذي يعنيه هذا كله؟" تساءلت بصوت خافت، وأنا أتابع كلمات والدتي.

صمتت لبرهة قبل أن تجيب: "لا أستطيع أن أخبرك، لقد مر وقت طويل على كل ذلك، لكن أعدك شيئًا واحدًا: إذا اكتشفت ما كان في الماضي، ستفهم أن لا أحد يمكنه الهروب من أفعاله، ولا أحد سيبقى بعيدًا عن الحقيقة."

ثم توقفت، كأنها كانت تفكر في كلماتها قبل أن تتابع: "لكن عليك أن تكون مستعدًا. بعض الحقائق تظل مؤلمة. قد تجعلنا نكره من نحب، وقد تجعلنا نرى العالم بشكل مختلف."

القلق بدأ يعصف بي أكثر، لكنني كنت مصممًا على المتابعة. كنت أشعر أنني على أعتاب كشف شيء كان محجوبًا عني لفترة طويلة. أمي

كانت تعرف أكثر مما قالت، لكن يبدو أنها كانت تخشى أن تكشف لي المزيد.

ثم انفجرت في ذهني فكرة مفاجئة. كان أبي جزءًا من كل هذا، كان جزءًا من المعادلة المظلمة التي كنت أبحث عنها. كان يمكنني أن أراه الآن في ذهني، يجلس في الزاوية المظلمة من الذاكرة، كما لو أنه كان يراقبني طوال الوقت.

"هل هو السبب في كل هذا؟" سألت بصوت خافت، غير قادر على تصديق ما كنت أشعر به.

أمي نظرت إليّ نظرة غريبة، وكأنها كانت تدرس ملامحي، ثم أجابت بصوت منخفض جدًا: "والدك كان جزءًا من هذا، لكنه كان ضحية أيضًا، مثلنا جميعًا. لقد كان يأمل أن يهرب من الماضي، لكنه غرق في أشياء أكبر منه."

كان هذا بمثابة الضربة القاصمة. لم أستطع أن أستوعب ما سمعته. كل ما كنت أظنه عن أبي، وكل الأوقات التي كنت ألومه فيها، بدأت تتشوه أمام عيني. ولكن السؤال الذي ظل يلح عليّ هو: كيف يمكنني الاستمرار في مسيرتي وأنا لا أزال غارقًا في الظلال التي تركها أبي في حياتي؟

أمي سحبت نفسًا عميقًا وقالت: "الآن، عليك أن تختار. هل ستستمر في البحث عن الحقيقة، أم ستغلق هذا الفصل وتتركه وراءك؟ لأن كلما اقتربت من معرفة

المزيد، كلما ضاقت المسارات أمامك."

كانت الكلمات الأخيرة تتردد في عقلي مثل صدى بعيد، وكأنها تحذرني من اتخاذ خطوة أخرى إلى الأمام. ومع ذلك، لم أستطع العودة. كنت على وشك اكتشاف شيء قد يغير حياتي بالكامل.

الفصل التاسع: صمت العائلة

بينما كنت أمشي في الممر الضيق داخل منزلنا، كانت أصداء كلمات أمي تتردد في رأسي بلا هوادة. كان الوقت قد بدأ يمر بسرعة، ولكني كنت أشعر أنني عالق في مكان ما بين ماضي لم أكن أستطيع الهروب منه وحاضر مليء بالتساؤلات.

أخذت أتنقل بين الغرف الخالية، كل واحدة منها تحمل ملامح الذكريات القديمة، أراها ولكنني لا أستطيع لمسها. كل زاوية كانت تذكرني بأشياء لم أفهمها بعد. كان شيء ما في هذا المنزل يضغط عليّ، وكأن الجدران نفسها كانت تحاول إخفاء أسرار لا أستطيع الوصول إليها.

في تلك اللحظة، شعرت بشيء غريب، كأنني لست الوحيد في هذا المكان. نظرت حولي، وتوجهت إلى غرفة والدتي. كانت تجلس هناك،

وحيدة، تحدق في الفراغ وكأنها تنتظر شيء ما. لكن لم يكن هناك شيء واضح، فقط الظلال التي تحيط بها.

"أمي..." همست، لكن الصوت الذي خرج مني بدا غريبًا، كأنني كنت أخشى أن تكون الكلمات التي سأقولها ستكسر الصمت الذي كان يحيط بنا.

أمي رفعت رأسها ببطء، ثم ابتسمت ابتسامة مريرة. كانت ابتسامة مليئة بالحزن، وكأنها تعرف أنني على وشك كشف الحقيقة التي كانت تحاول بشتى الطرق إخفاءها.

"أنت لا تفهم، أليس كذلك؟" قالت وهي ترفع يدها كما لو كانت تحاول تجنب مواجهة الموقف.

"أنا أحاول أن أفهم، أمي. لكن لا أستطيع أن أعيش في الظلام بعد الآن. كل شيء مغطى بالغموض، وأنتِ تعرفين أكثر مما تقولين."

انحنت أمي قليلاً، وكأنها تفكر في كل كلمة قبل أن ترد. "كل شيء بدأ يتداعى في تلك الأيام، كل شيء تكسَّر. والدك، والخيارات التي اتخذها... لم يكن الأمر سهلاً. والآن، أنت في هذا المكان، تحمل نفس الأسئلة التي حملتها أنا في شبابنا."

لم أتمكن من السيطرة على نفسي. كنت أريد أن أعرف كل شيء، الحقيقة التي كانت مخفية تحت الطاولة، وكل تلك الأسرار التي جعلت حياتنا تتحول إلى هذا الشكل من الصمت.

"لماذا لم تخبريني؟ لماذا لم أخبر أي أحد بما كان يحدث؟ لماذا ظللنا في هذا السجن الصامت؟" كنت أصرخ الآن، وكأنني كنت أبحث عن إجابة لكل ذلك الفراغ الذي كان يملأ قلبي.

أمي حدقت في عينيّ، وكأنها رأتني لأول مرة منذ سنوات. ثم قالت بصوت متهدج: "لأن أحيانًا الحقيقة تكون أثقل من أن تحملها، خاصةً عندما تتعلق بمن نحبهم."

لحظات صمت ثقيلة مرت بيننا، وكل ما كنت أستطيع سماعه هو صوت أنفاسي وأنا أحاول أن أستوعب ما قالته أمي.

في تلك اللحظة، شعرت بشيء غريب. كان هناك جزء من الماضي الذي كان يرفض أن يغادر، كأنه عالق في الزمن، ينتظر لحظة الانفجار. وكلما اقتربت من تلك اللحظة، كنت أشعر أنني قد لا أستطيع العيش مع الحقيقة بعد أن أعرفها.

كان التوتر يتصاعد داخلي. كنت على شفا اكتشاف شيء قد يغير حياتي للأبد، ولكن ماذا إذا كانت الحقيقة أقسى مما كنت أتخيل؟

كان الهواء في الغرفة يثقل على صدري، وكأن كل نفس كنت آخذه كان يصارع نفسه للمرور. الأجوبة التي كنت أبحث عنها، كنت على وشك العثور عليها، لكن هل كنت مستعدًا لتحمل ما سمعته أمي للتو؟ كان الصمت يشبه العدو الصلب الذي يواجهني في كل زاوية.

"أمي، هل كان كل شيء مجرد كذبة؟" همست بصوت متحشرج، ولم أكن متأكدًا إذا كنت أبحث عن إجابة أم كنت فقط أحتاج لأن أسمع كلمات تجعلني أهدأ قليلاً.

أمي نظرت إلي بعينين مغمورتين بالحزن، ثم قالت بصوت ضعيف: "كل شيء، حتى الحب الذي كان بيننا، كان معتمًا بالظلال. والديك... كانت حياته مليئة بالأوهام. لا يمكن لأحد أن يعرف ما الذي يحدث في قلبه أو في عقله."

"لكن... لماذا أخفيتم كل شيء؟ لماذا لم تخبريني؟" شعرت بالغضب يتسلل إلى داخلي، لكنني كنت أعرف أن الغضب ليس هو ما كنت أحتاجه في هذه اللحظة. كنت بحاجة لفهم.

"أنت لا تفهم. كنت أحاول أن أعيشك في أمان. لا أريدك أن ترى ما رأيته، أو تسمع ما سمعت. كان من الأفضل لك أن تظل بعيدًا عن هذا الظلام. ولكن، الآن أنت في قلبه، لم يعد بإمكاننا الهروب من الحقيقة."

سقطت الكلمات على مسامعي ثقيلة كما لو كانت تكشف لي عن جرح قديم كنت قد نسيت أنني أحمله. والدي... ذلك الرجل الذي كنت أنظر إليه بعينين تملؤها الأمان، كان مليئًا بالأسرار، والحياة التي ظننتها مثالية كانت مليئة بالحفر العميقة.

ثم قالت أمي شيئًا جعلني أتوقف عن التفكير في كل شيء آخر. "هل تعرف أن والدك كان يحبك أكثر من أي شيء آخر؟" قالتها ببطء، وكأنها تريد أن تضمن أن الكلمات تصلني بشكل صحيح.

"لكنه اختار طريقًا آخر... وحملنا معه في هذا الطريق الذي لم نكن مستعدين له."

كان كلامها كالصاعقة التي أصابتني مباشرة. كانت الحقيقة أقسى من أن أقبلها، لكنني لم أستطع الهروب منها.

"لكن لماذا؟ لماذا لم نتحدث عن هذا؟ لماذا هذا الصمت الذي يعذبنا جميعًا؟"

أمي أغمضت عينيها لثوانٍ وكأنها تتذكر شيئًا ما من الماضي البعيد. ثم، بنبرة هادئة، قالت: "لقد حاولنا، يا ولدي. حاولنا أن نجد طريقًا للخروج. ولكن بعض الأشياء، بعض الأسرار، ليست ملكنا لنكشفها. البعض منهم قد يدمرنا إن عرفناهم."

كان شيء في حديثها يثير الرغبة في اكتشاف المزيد، لكن في ذات الوقت كنت أشعر بالخوف من الاقتراب أكثر. هل كنت حقًا مستعدًا أن أواجه كل تلك الأسرار؟ أم أن بعض الأشياء يجب أن تظل مخفية؟

أمي لم تكن فقط حاملة للأسرار، بل كانت أيضًا محاربة تسعى جاهدة للحفاظ على ما تبقى من أسرتها. ومع ذلك، كانت تلك الأسرار قد بدأت تتسرب إلى الخارج، وكانت أيدينا غير قادرة على وقفها.

في تلك اللحظة، شعرت بشيء جديد يتنامى داخلي، شعور بالمسؤولية. لا يمكنني البقاء في الظل إلى الأبد. يجب أن أواجه الحقيقة، حتى لو كانت مؤلمة.

الفصل العاشر: الضوء الخافت

كانت الساعة تقترب من منتصف الليل، ولكن الظلام الذي يحيط بي كان أعمق من أي وقت مضى. في تلك اللحظة، وجدت نفسي أقف أمام المنزل القديم الذي طالما كنت أراه من بعيد، لكنه كان يبدو الآن أقرب إليّ مما كنت أتخيل. قلبت في ذهني كل الأسئلة التي لم تملك أمي الإجابة عليها، وها أنا ذا على مشارف اكتشاف شيء ربما يغير مجرى حياتي.

أمام الباب المتهدم الذي كان يوحي وكأنه لم يُفتح منذ سنوات، ترددت للحظة. هل حقًا أريد الدخول؟ هل أريد أن أكتشف كل ما دُفن؟ كانت قدماي ثقيلة وكأنها لا تريد أن تخطو خطوة أخرى. لكنني في النهاية، أخذت نفسًا عميقًا، ورفعت يدي لأطرق الباب.

"من؟" جاء الصوت فجأة من داخل المنزل، محاولاً كسر الصمت الذي كان يخيم على المكان. لم أستطع تحديد ما إذا كان الصوت مألوفًا أم غريبًا، لكنه حمل شيئًا من القسوة، كما لو أن أصحاب هذا المنزل قد اعتادوا على أن يكون هناك غرباء يترددون عليه.

"أنا، ابن... ذلك الرجل." كانت الكلمات تخرج بصعوبة من فمي، وكأنني أخشى أن يكون لهذا التصريح عواقب غير متوقعة.

لحظات من الصمت مرّت قبل أن يفتح الباب ببطء. وقفت أمامي امرأة في منتصف العمر، كانت ملامحها تحمل تعبيرًا جامدًا، لكن عيونها كانت مليئة بالقصص التي لم تُحكى بعد. كانت تبدو لي غريبة، ومع ذلك، كان هناك شيء مألوف في وجهها، شيء يربطها بماضٍ بعيد.

"ماذا تريد؟" سألني الصوت الذي كان يحمل في طياته تهديدًا خفيفًا، لكنه في الوقت نفسه كان مليئًا بالفضول. كانت تسألني كما لو كانت تعرف مسبقًا أنني سأأتي إلى هنا في يوم من الأيام.

"أريد أن أفهم،" أجبت وأنا أراقب يديّ اللتين ترتجفان بشكل غير معتاد. "أريد أن أفهم كل شيء."

ابتسمت تلك المرأة ابتسامة غامضة، وكأنها كانت تنتظر مني هذا السؤال طوال الوقت. "تعال، لكن لا تقل لي أنني لم أحذرك."

دخلت إلى المنزل، وكانت الأضواء خافتة جدًا لدرجة أنه كان من الصعب تحديد ما كان حقيقيًا وما كان مجرد ظلال تلاعب بالذكريات. كنت أرى صورًا قديمة معلقة على الجدران، بعضها يظهر عائلة سعيدة، والبعض الآخر يذكرني بحكايات قديمة كنت أسمعها عندما كنت صغيرًا.

"أنت على وشك معرفة الكثير من الأمور التي لا يمكن الرجوع عنها. هل أنت مستعد؟" قالت المرأة، بينما كانت تقودني عبر الغرف المظلمة التي كانت تخبئ أسرارًا قديمة.

لم أكن متأكدًا مما إذا كنت مستعدًا أم لا، لكن كان لدي شعور قوي بأنني لن أتمكن من العودة إلى الوراء الآن. ما من طريق للخروج، حتى لو أردت. كان الفضول قد أسرني تمامًا، وكان عليّ أن أعرف الحقيقة.

وقفت أمام باب آخر، وكان الصوت يأتي من وراءه، كما لو أنه كان يتحدث إليّ مباشرة. "لا يمكنك الهروب مما اكتشفته. ولكن هل تستطيع أن تتعامل مع العواقب؟"

كان هذا هو السؤال الذي ظل يرن في أذني طوال الطريق. "هل أستطيع أن أتعامل مع العواقب؟" تساءلت في نفسي، بينما كانت اليد التي أمسكت بها المقابض المعدنية للباب ترتجف بشدة. لكن في تلك اللحظة، أدركت أنني لا أملك سوى الإجابة الواحدة.

"لا عودة الآن." همست لنفسي.

ثم فتحت الباب.

الفصل العاشر: الضوء الخافت (تكملة)

عندما فتحت الباب، كان شعور غير طبيعي يغمرني. لم يكن هناك شيء مميز في الغرفة، لكن الجو كان مشحونًا بذكريات ثقيلة، وأصوات الماضي التي تعود كلما اقتربت من أركان هذا المكان. كان الهواء ساكنًا، وكأن الزمن قد توقف هنا، لا صوت سوى همسات ضعيفة تتنقل عبر الجدران المتآكلة.

كانت الغرفة مليئة بالأثاث البالي، والكتب التي كانت قد تآكلت أطرافها بفعل الزمن. وعلى الحائط، كانت هناك صورة قديمة لرجل يبدو مألوفًا. نظرت إليها جيدًا، وحينها، أدركت أنه كان هو... والدي. كان شابًا في الصورة، وبدا عليه أنه كان يحمل شيئًا من القوة والهيبة. لكنه لم يكن في تلك الصورة وحيدًا، كان هناك آخر بجانبه. كان الرجل نفسه الذي كان يخرج من تلك البارات التي تحدثت عنها أمي.

"أنت تعرف هذا الرجل، أليس كذلك؟" قالت المرأة خلفي، وهي تقترب مني ببطء. كانت عيونها تحمل نظرة غريبة، وكأنها كانت تنتظر رد فعلي.

كان وجهها مشوّهًا من سنوات من الحياة القاسية، لكن كانت هناك في عينيها لمعة من المعرفة العميقة التي تبدو وكأنها تعرف كل شيء.

"نعم، أعرفه." أجبت بصوت يكاد يكون همسًا. "كان صديقًا لوالدي."

"ليس فقط صديقًا." قالت بصوت هادئ، ثم أضافت، "كان كل شيء في حياته. الرجل الذي دمر كل شيء."

فجأة، شعرت بصدمة عميقة. لم يكن الأمر مجرد علاقة عابرة بين رجلين. كانت هناك روابط مظلمة تربط والدي بذلك الرجل، روابط لا أستطيع حتى تخيلها. كنت قد اكتشفت أن هناك أشياء لم أكن مستعدًا لمعرفتها، وأحداث لا أستطيع أن أستوعبها.

"هل كنت تعرف كل هذا؟" سألتها، بينما كنت أراقب صورة والدي والمجهول الذي كان يقف بجانبه.

أومأت المرأة برأسها، ثم جلست على الكرسي القريب من النافذة، ناظرة إلى الخارج كما لو أنها تراقب ماضيها الذي لا يمكنها الهروب منه.

"لماذا أخبرتني؟" تساءلت، وكان قلبي ينبض بسرعة. كنت أتوقع شيئًا من الإجابة، لكن لم أكن مستعدًا لهذه الحقيقة العميقة.

"لأنك أنت، ابن هذا الرجل، يجب أن تعرف الحقيقة. الحقيقة التي كانت مختفية عنك طوال هذه السنوات. ولكن تذكر، كل اكتشاف يأتي بثمن. عليك أن تكون مستعدًا."

صمتت لحظة، ثم نظرت إلى عيني مباشرة وقالت: "قد تكون أنت أيضًا جزءًا من هذا الظلام الذي حاول والدك الهروب منه. لكن هل ستستطيع الفرار؟ أم ستظل تتبع نفس الطريق الذي سار عليه؟"

كانت كلماتها ثقيلة، وتسللت إلى عقلي بطريقة لا يمكنني تحليها. كنت أبحث عن إجابة، لكن كل ما كنت أملكه هو المزيد من الأسئلة. ماذا

يجب أن أفعل الآن؟ كيف يمكنني مواجهة هذا الإرث المظلم الذي يبدو أنه يلاحقني؟

قبل أن أتمكن من الرد، سمعنا صوت خطوات تقترب من الباب. ثم، فجأة، اقتحمت الغرفة فتاة صغيرة، كانت عيونها مليئة بالدموع. كانت ترتجف، وكان قلبها ينبض بسرعة.

"هم قادمون!" قالت الفتاة، وبدت في حالة من الذعر. "لقد عرفوا أننا هنا، ويبحثون عنك!"

كان الصوت خافتًا، ولكنه كان يحمل في طياته تهديدًا حقيقيًا. كأن شيئًا ما سيحدث قريبًا، شيء لا يمكننا التراجع عنه الآن.

"من هم؟" سألت بسرعة، بينما كنت أرى الفتاة تكاد تختنق من الخوف.

"لن تستطيع الهروب منهم، لا أحد يستطيع." قالت المرأة، ثم نهضت بسرعة، ووجهها مليء بالجدية. "لكن عليك أن تكون قويًا الآن. لأن كل شيء يتوقف عليك."

بدأ قلبي يخفق بشكل أسرع. كنت قد دخلت إلى عالم مظلم، حيث كان هناك أشياء لا يمكنني العودة عنها. الآن، كنت أواجه تهديدًا حقيقيًا، وأدركت أنني لن أستطيع الهروب من هذه الحقيقة.

"أسرع!" قالت المرأة، وهي تشير إلى الباب. "الوقت ينفد."

في تلك اللحظة، أدركت أنني وقعت في فخ كبير، وأنني لا أملك سوى خيار واحد: أن أواجه هذا الماضي المظلم وأن أكتشف أين يكمن مصيري.

لكن كان لدي شعور قوي أنني لن أكون الوحيد الذي سيدفع الثمن.

في تلك اللحظة، كانت الغرفة تغرق في صمت خانق. لم أكن أعلم إن كانت هذه اللحظة هي بداية النهاية، أم مجرد خطوة أخرى في متاهة الظلال التي دخلت إليها دون أن أعي تمامًا مغزاها. لكنني كنت أشعر في أعماقي أنني لا أستطيع الهروب. مهما حاولت، كان هذا المصير يلاحقني مثل ظل لا يفارقني.

"الوقت ينفد،" كررت المرأة مرة أخرى، بينما كانت نظرتها شديدة الجدية، وكأنها تراه يتحلل أمام عينيها.

لم يكن أمامي سوى الخروج. كنت أعرف أن الخطر يقترب، لكنني لم أكن أعرف ما ينتظرني في الخارج. كانت الغرفة تنبض بجو من الترقب، كما لو كانت ألسنة نار خفية تحيط بي من كل جانب. تركت الصورة على الحائط، وركضت نحو الباب، متبعًا خطوات الفتاة الصغيرة التي كانت تبدو وكأنها تحمل ثقلًا أكبر من عمرها.

بينما كنت أخرج، التقطت نظرة أخيرة على المرأة. كان وجهها يختفي وراء الأثاث المبعثر، لكن عينيها بقيتا تلاحقاني، كما لو كانت تحاول إرسال رسالة غير مكتملة.

"لا تنسَ،" قالت بصوت منخفض يكاد يُسمع، "الحقيقة تأتي بثمن... لكنك لا تملك الخيار إلا أن تدفعه."

لم أتوقف، لم أكن أريد أن أسمع المزيد. لم يكن لدي ما يكفي من الوقت أو القوة لتحمل المزيد من الغموض. كان الباب مفتوحًا أمامي الآن، وعلى الجانب الآخر كان كل شيء مظلمًا. كنت أركض في الظلام، دون أن أعرف إلى أين سأصل، لكنني شعرت أنني لا أستطيع التراجع.

بينما كانت قدماي تطأ الأرض في ظلام ذلك المكان المجهول، شعرت بشيء غريب في معدتي، كأنني أخطو على حافة الهاوية. كل خطوة كنت أتخذها كانت تعمق الشعور بأنني دخلت في عالم لا أستطيع الخروج منه بسهولة.

سمعت خلفي صوتًا خافتًا، ثم تسارعت خطوات الفتاة، التي كانت لا تزال تلتصق بي، كأنها جزء من هذا الظلام الذي يعم المكان.

"من هم؟" سألت بصوت منخفض، على الرغم من أنني كنت أعلم أن الإجابة لن تكون واضحة.

لكن الفتاة لم تجب. كانت نظراتها متوترة، وعيناها تبحثان في كل زاوية كأنما تحاول الهروب من شيء أكبر منها.

فجأة، سمعنا صوتًا بعيدًا، ثم صوت آخر يقترب تدريجيًا. كان الصوت في البداية غير واضح، ثم أصبح أكثر وضوحًا، مثل خطوات ثقيلة تقترب منا. قلبت نظري إلى الوراء، وأنا أشعر بضغط يتزايد في صدري.

"هم... قادمون." قالت الفتاة بصوت يكاد يُسمع، وكنت أعرف أن اللحظة التي كنت أخاف منها قد حانت.

هنا، توقفت. وكأن جسدي قرر أن يتأمل مصيره، رغم أن عقلي كان يصرخ، محاولًا الهروب من هذا المصير المجهول.

ثم همست الفتاة في أذني، "لا تلتفت... مهما حدث، لا تلتفت."

لكنني لم أستطع التوقف. كل شيء حولي كان يغرق في الظلام، وتلك الخطوات الثقيلة تقترب بسرعة أكبر، وكان لدي شعور قوي أنني لن أكون الشخص الوحيد الذي سيواجه هذا التهديد.

الفصل الحادي عشر: المواجهة

كنت أسمع خطواتهم تقترب أكثر فأكثر، كل خطوة ثقيلة تُضخّم في الفراغ من حولي. كان الوقت قد فات على الهروب. كنت في قلب العاصفة الآن، وكانت الحقيقة تطاردني مثل شبح لا يفارقني. نظرت إلى الفتاة التي كانت تقف بجانبي، عيونها مليئة بالخوف، ولكن كان هناك شيء آخر، شيء بدا وكأنه يقودها إلى الأمام، وكأنها قد اختارت مصيرها.

"ماذا ننتظر؟" همست، حتى لا يسمعنا من يقترب. "ماذا يجب أن نفعل الآن؟"

لكن الفتاة لم تجب. كانت عينها تتنقل بين الظلال التي بدأت تملأ المكان، كما لو أنها تبحث عن مخرج. ثم فجأة، بدأت في الركض نحو الزاوية المظلمة، تبتعد عن الطريق الذي كان من المفترض أن نذهب فيه. توقفت فجأة ونظرت إليّ، ثم قالت بصوت ضعيف ولكنه مليء باليقين:

"يجب أن تذهب إلى هناك. هذا هو الطريق الوحيد."

"أين؟" قلت، وأنا أحاول أن أستوعب كلماتها وسط الفوضى التي كانت تدور في عقلي.

"إلى المكان الذي بدأ فيه كل شيء." قالت ببساطة، بينما كانت خطواتهم تقترب أكثر.

شعرت بثقل كلماتها. كان ذلك هو الطريق الذي كنت أحاول تجنب التفكير فيه. كنت أعرف ما تعنيه. كانت تشير إلى الماضي، إلى المكان الذي ارتبط فيه كل شيء، حيث بدأت كل هذه الظلال والحقائق المظلمة التي تطاردني.

"لكننا لا نملك وقتًا." قلت، موجهًا نظري إلى الظلال التي كانت تزداد كثافة، بينما كانت أصواتهم تقترب من كل اتجاه.

"اذهب،" قالت الفتاة، بينما كان صوتها يهتز، "وإلا فلن تجد السلام أبدًا."

لم يكن لدي خيار. قررت أن أواجه ما كان يطاردني منذ البداية. بدأت أركض في الاتجاه الذي أشارت إليه الفتاة، وكان كل شيء من حولي يزداد ظلمة. كنت أعرف أنني على وشك الدخول إلى عالم آخر، عالم مليء بالأسرار التي ربما لن أتمكن من فهمها.

كل خطوة كنت أخطوها كانت تقربني أكثر من الحقيقة التي كنت أهرب منها. شعرت كأنني في حلم طويل، حيث كانت كل زاوية، وكل جدار، وكل صوت يعيدني إلى مكان بعيد في الذاكرة.

تابعت الركض، وكل خطوة كانت تدفعني أكثر في المجهول. كان الظلام يزداد كثافة من حولي، وكأن كل شيء يحاول إخفاء الحقيقة التي كنت أسعى إليها. بدأت تتلاشى معالم المكان، وكلما اقتربت من الزاوية التي

كانت الفتاة قد أشارت إليها، شعرت ببرودة في الهواء، وكأن المكان كان يرفض وجودي هنا.

ثم توقفت فجأة، عندما وصلني صوت غير متوقع. كان همسًا خفيفًا، يصعب تمييزه بين الصمت، لكنه كان يحمل إشارة قوية. حاولت أن أركز على الصوت، وعيني تبحث في الزوايا المظلمة. وفجأة، رأيت أمامي بابًا قديمًا، كان يشبه بابًا عاديًا، لكنه كان مغطى بالغبار، وكأن الزمن قد نساه. عرفت في تلك اللحظة أنني وجدت ما كنت أبحث عنه.

حاولت دفع الباب، ولكنه كان مغلقًا بإحكام. نظرت حولي سريعًا، وعيني تتنقل بين الأجواء القاتمة. هناك شيء في هذا المكان كان يحاول أن يربكني. كانت هناك أصوات تهمس في الخلف، كانت تُخبرني بأشياء غير واضحة، لكنني كنت أعرف أنه ليس لدي خيار سوى المضي قدمًا.

ركضت نحو الباب ودفعت بكل قوتي. مع ذلك، ظل الباب مغلقًا، ولم يكن هناك أي مؤشر على أنه سيفتح بسهولة. بدأت أشعر باليأس يتسلل إلى داخلي، لكن فجأة تذكرت كلمات الفتاة، كلماتها عن المكان

الذي بدأ فيه كل شيء. لم يكن الباب مجرد عائق، كان هو نقطة البداية.

أخذت نفسًا عميقًا، ثم رفعت يدي مرة أخرى، محاولًا فتحه بطريقة مختلفة. هذه المرة، شعرت بشيء غريب في المقبض. كان هناك نوع من التفاعل بين يدي والباب، وكأنهما يعترفان ببعضهما البعض. فجأة، أُزيح الباب بصوت غير طبيعي، وكأنها كانت اللحظة التي كنت أبحث عنها طوال حياتي.

دخلت إلى الداخل، وبينما كنت أغلق الباب خلفي، وجدت نفسي في غرفة غير مألوفة. كانت مليئة بالكتب القديمة، والخرائط التي بدت وكأنها تعود إلى العصور الوسطى. كانت الأرض مغطاة بالتراب، والجدران مليئة بالرسومات القديمة التي بدت وكأنها تحكي قصصًا طويلة من الماضي. في الزاوية البعيدة، كان هناك مكتب قديم جدًا، وعليه أوراق متناثرة.

مشيت نحو المكتب ببطء، والقلق يراودني من كل جانب. شعرت بأنني على وشك اكتشاف شيء سيغير كل شيء. وبينما كنت أتصفح الأوراق

على المكتب، وجدت ما كنت أخشاه. كانت هناك وثائق مكتوبة بخط اليد، تحتوي على تفاصيل دقيقة عن حياة والدي، وكأنها كانت تسجل كل خطوة قام بها في تلك الفترة الغامضة من حياته.

ولكن ما لفت انتباهي بشكل خاص هو صورة قديمة كانت موضوعة بعناية على أحد الأوراق. كانت صورة لوالدي، ولكنه كان يظهر إلى جانب شخص آخر، الشخص نفسه الذي كان في الصورة القديمة في الغرفة السابقة. وكنت أشعر أن هذا الشخص كان له دور أكبر في حياة والدي مما كنت أعتقد.

فجأة، سمعته. كان صوت خطوات تقترب مجددًا، ولكنه كان مختلفًا هذه المرة. كان هناك شيء ثقيل في الجو، وكأن شيئًا سيئًا على وشك الحدوث. كنت أعلم أن الوقت قد حان لمواجهة ما كان يطاردني طوال هذه الرحلة.

أغلقت الأوراق بسرعة، ورفعت عيني نحو الباب. كان هناك شخص يقف في المدخل. كان صامتًا، ولكن وجهه كان يحمل شيئًا من القوة،

قوة لا يمكن تجاهلها. وبدا أنه يعرف كل شيء، كما لو أنه كان جزءًا من هذا الظلام الذي كان يلاحقني.

وقفت متسمّرًا في مكاني، لا أعرف كيف أتصرف. كان الرجل يقف هناك، في الظلام الذي يحيط به، ولا شيء سوى هواء ثقيل يعم المكان. قلبه ينبض بسرعة، وكان عقلي يعجّ بالأسئلة التي لم أستطع الإجابة عليها.

"كنت أعلم أنك ستصل هنا في النهاية," قال الرجل بصوت هادئ، ولكن عميق، كأنه لا يراعي المسافة بيننا. كانت كلماته ثقيلة، تحمل معنى مروعًا لا يمكن إنكاره.

"من أنت؟" كان سؤالي يخرج بصعوبة، وكأن الكلمات تكاد تختنق في حلقي. كنت أعرف في أعماق قلبي أن هذه اللحظة قد حانت، وأن كل شيء بدأ يتكشف أمامي.

الرجل ظل صامتًا للحظة، وكأن عينيه تحاولان قراءة كل جزء مني، كأنهما تعكسان كل التفاصيل التي كنت أرفض أن أراها. أخيرًا، أومأ برأسه وقال: "أنا من كان يراقبك طوال الوقت. أنا من كان يعرف كل شيء عنك وعن والدك."

لم يكن لديه وجهة محددة أو تفاصيل ملامح دقيقة، كان مجرد وجود غامض يطاردني بعيون نافذة على الماضي. كانت تلك اللحظة مليئة بالتوتر، وكان كل شيء حولنا يبدو وكأنه على وشك الانهيار.

"لكن لماذا؟ لماذا تراقبني؟" سألت، وكانت كل كلمة تخرج من فمي تحمل شعورًا بالضياع. لم أكن أفهم لماذا كل هذه المراقبة، لماذا كل هذه الألغاز.

"لأنك أنت الوحيد الذي يمكنه حل هذه الألغاز. والديك، وكل شيء كنت تعتقد أنك تعرفه، ليس كما تظن. لقد كان جزءًا من خطة أكبر بكثير، وأكثر تعقيدًا مما يمكنك أن تتصور."

كنت أتمنى أن تكون كلماته مجرد تهديد فارغ، لكن هناك شيئًا في نبرة صوته كان يشي بالجدية. كل شيء بدأ يتضح لي بشكل بطيء، وكأنني أرى قطعة جديدة من اللغز الذي لا أستطيع فهمه.

"هل أنت جزء من كل هذا؟ من تلك الظلال التي تلاحقني؟" سألته، كأنني أريد أن أسمع الإجابة التي قد تكشف لي الطريق.

"نعم، لكنني لست العدو هنا. نحن كلنا جزء من نفس اللعبة، واللعبة أكبر من أي فرد. الحقيقة هنا ليست كما تتصورها، وعليك أن تكون مستعدًا لتقبل ما سيأتي."

أغمضت عيني لحظة، وأخذت نفسًا عميقًا. بدا لي وكأن كل شيء حولي قد بدأ يتفكك، وأنني لا أستطيع الهروب من هذا. أدركت أنني أمام نقطة تحول في حياتي، وأنني يجب أن أستمر في السير حتى النهاية، مهما كانت التكلفة.

لكن، قبل أن أتمكن من الرد، استدار الرجل وبدأ يمشي نحو الباب. "أنت ستكتشف كل شيء قريبًا. كل شيء سيكون في متناول يدك." قال بصوت بعيد، وكأنه يعلم شيئًا لا أزال أجهله.

توقفت، وكنت أراقب خطواته. ثم، وفي لحظة غير متوقعة، اختفى في الظلام كما ظهر. ولم يعد هناك سوى صمت رهيب، ومشاعر متضاربة تخيم على عقلي.

كنت في هذا المكان، في تلك اللحظة، أسير في عالم مليء بالألغاز، لا أستطيع التراجع، ولا أستطيع الهروب. الحقيقة، بكل ما تحمله من أمل ومأساة، كانت على بعد خطوة واحدة. ولكن، هل كنت مستعدًا لتلك الحقيقة؟

الفصل الثاني عشر: الضوء في الظلام

استفاقت عيناي على الظلام الذي يحيط بي، وكأن العالم قد تلاشى في تلك اللحظة. كان قلبي ينبض بسرعة، ولا تزال كلمات الرجل تتردد في عقلي: "كل شيء سيكون في متناول يدك." لكنني كنت أعلم أن هذه الكلمات تحمل في طياتها معاني أكبر بكثير من مجرد وعد.

كانت الغرفة التي كنت فيها تبدو خالية من الحياة، لكن شعورًا غريبًا يتسلل إلى أعماقي. كان الجو خانقًا، محملاً بشيء من الندم والعجز. كان الضوء الذي اخترق نافذة صغيرة في الزاوية لا يكاد يضيء شيئًا. شعرت وكأنني محاصر داخل نفسي، في عالم يسير في مسار واحد لا مفر منه.

فجأة، قررت أن أواجه هذا المجهول. كانت هناك خطوة واحدة، خطوة نحو الحقيقة، مهما كان الثمن. كان الوقت قد حان لكي أفهم ماذا كان يقصد ذلك الرجل، ولماذا كانت كل هذه الألغاز تطاردني.

خرجت من الغرفة بخطوات ثقيلة، وكأن الأرض نفسها كانت تثقل خطواتي. لم أكن أعرف إلى أين سأذهب، ولكن شعورًا بضرورة المضي قدمًا كان يوجهني. في قلبي كان هناك شيء يدفعني للمضي قدما، رغم كل الخوف والشكوك.

وصلت إلى ممر ضيق في نهاية المدخل. كانت الجدران موشومة بعلامات الزمن، وكل زاوية تحمل في طياتها ذاكرة مفقودة. حاولت أن ألتقط أنفاسي، ولكن شعورًا عميقًا بالقلق ظل يلازمني. لم أكن وحدي في هذا العالم، لا يمكن أن يكون هذا الأمر مجرد مصادفة.

ثم تذكرت كلمات المرأة في الغرفة السابقة. "كل اكتشاف يأتي بثمن. عليك أن تكون مستعدًا." كان قلبي ينبض بشكل أسرع، وكانت هذه الكلمات ترن في أذنيّ وكأنها تحذير. هل كان هذا الثمن سيكشف لي عن شيء لا أستطيع تحمله؟ هل كنت أريد أن أعرف الحقيقة بأي ثمن؟

بينما كنت أمشي في الممر، بدأ الضوء في الظهور أكثر. كان مصدره غير واضح، لكنه كان يعكس الأمل في مكان مظلم. لكنني كنت أعلم في

أعماقي أنه لا شيء في هذا العالم يأتي ببساطة. كانت الحقيقة تحتاج إلى بحث، وكنت على استعداد لدفع أي ثمن للوصول إليها.

بينما كنت أقترب من الباب في نهاية الممر، توقفت فجأة. كان هناك صوت خفيف، خافت، كأن أحدًا يهمس في أذني. كان الصوت مألوفًا. كنت أعرفه. كان الصوت نفسه الذي سمعتُه عندما كنت صغيرًا، في اللحظات التي كنت أبحث فيها عن والدَيّ. همسات الماضي التي حاولت جاهدة أن أنساها.

"أنت هنا أخيرًا." قال الصوت، وكأن العالم كله قد تجمد حولي. وعندما التفت، رأيت شخصًا يقف في الظل، وجهه غير واضح، لكنه كان يحمل نفس النظرة المألوفة، نظرة من كان ينتظرني.

"من أنت؟" سألته بصوت متحشرج، لكن يدي كانت ترتجف.

"أنا من كنت تبحث عنه." أجاب، وهو يخطو إلى الأمام. "أنا من كان وراء كل شيء. وأنا من يجب عليك أن تواجهه الآن."

لم أستطع فهم كلماته تمامًا. كنت في حالة من الدهشة والارتباك. هذا الشخص، هذا الوجود الذي كان يتراءى لي، كان يحمل المفاتيح التي كنت أحتاج إليها.

ولكن قبل أن أتمكن من الرد، تحدث الرجل مرة أخرى: "لقد حان الوقت لبدء الفصل الأخير. ولكن تذكر، عندما تفتح هذا الباب، لن تكون الأمور كما كانت. ستكتشف كل شيء، لكن هل ستكون قادرًا على تحمل ما ستجده؟"

تسارعت نبضات قلبي. كان الباب أمامي مفتوحًا على مصراعيه، وعندما بدأت أتقدم، أدركت أنني في اللحظة التي أفتح فيها ذلك الباب، سأكون قد عبرت إلى عالم لا أستطيع العودة منه.

لم يكن لدي خيار آخر. قررت أن أفتح الباب، وأن أواجه مصيري، مهما كانت العواقب. لأنني كنت أعرف أن الحقيقة لا تنتظر.

الفصل الثاني عشر: الضوء في الظلام (تكملة)

لقد كان الباب ثقيلًا. كان يزن في يدي كعبءٍ ثقيلٍ يزداد مع كل لحظة. كانت أصوات خطوي تتردد في الممر الهادئ، كأنها تعكس صدى تفكيري، وكأن كل خطوة على الأرض كانت تدفعني للانتقال إلى شيء لا أستطيع الهروب منه. ومع ذلك، لم أكن قادراً على التراجع. كان هذا الباب يحمل لي كل الإجابات التي لطالما تجنبها قلبي، وكل الحقيقة التي كنت أبحث عنها، حتى لو كانت ستحطم ما تبقى من يقيني.

تقدمت خطوة أخرى، ثم التفتُ نحو الرجل الذي كان يراقبني. كانت عيونه متسمة بالهدوء، لكن هناك شيئًا في تلك النظرة لم أتمكن من تفسيره. هل كان ينتظرني لأفعل هذا بنفسي؟ كان ينظر إليّ كمن يعرف شيئًا لا يستطيع قوله. كان صامتًا، لكن صمته كان أكثر ضجيجًا من أي كلمات يمكن أن يقولها.

"الوقت ليس في صالحك." قال أخيرًا، ملامح وجهه مليئة بالغموض، "لكنك ستكتشف ذلك قريبًا."

قلبي كان يكاد يتوقف. ترددت للحظة، ثم أمسكت بمقبض الباب بيد ثابتة. فتحته ببطء، وكأنني أخشى أن يتناثر من خلفه ما لا أستطيع تحمله.

بينما كانت الأبواب تتفتح أمامي، وجدت نفسي في غرفة صغيرة. لم يكن المكان الذي توقعته. كانت الجدران عارية، وأرضية الغرفة مغطاة بالغبار. في الزاوية، كان هناك مكتب قديم، مع أوراق مبعثرة حوله. لكن ما لفت انتباهي هو تلك الصورة المعلقة على الجدار المقابل.

كانت صورة لوالدي، ولكن ليست مثل تلك التي كنت أراها في الماضي. هذه المرة، كان يبدو شاحبًا، مُرهقًا، وعيناه تحملان نظرة عميقة من المعاناة. وكانت صورة الرجل الذي ظهر بجانبه في الصورة القديمة نفسها، لكن هذه المرة كان وجهه أكثر وضوحًا، وكان الظل الذي يحيط بهما يزداد قتامة.

ثم، سمعت صوتًا آخر، صوتًا خافتًا يأتي من داخل الظلام. لم يكن صوت الرجل الذي كان يراقبني، بل كان صوتًا آخر. كأنني كنت أسمع همسات الماضي تتسلل إلى مسامعي، همسات كانت تغذي الظلام حولي.

"إذا كنت تريد الحقيقة، عليك أن تدفع الثمن." قال الصوت، وهو يشبه همسات الرياح في أذن يائسة.

كان قلبي ينبض بشدة. أدركت حينها أنني في هذا المكان ليس فقط لأبحث عن الحقيقة، ولكن لأنني كنت جزءًا من هذا اللغز المظلم الذي يعيد نفسه. كانت الحقيقة أكبر من أن أتحملها، وأكبر من أن أهرب منها. لكن، مع كل خطوة أخطوها، كنت أقترب أكثر من المجهول الذي لا يمكنني الهروب منه.

ثم، فجأة، تذكرت كلمات المرأة في الغرفة السابقة: "كل اكتشاف يأتي بثمن." والآن، كنت أفهم تمامًا ما تعنيه. الحقيقة التي كنت أبحث عنها كانت تتطلب مني أن أكون مستعدًا للثمن، مهما كان.

وقفت هناك في الظلام، وصوت همسات الماضي يملأ الأرجاء. كان الضوء الذي يأتي من النافذة يعكس مشهدًا غريبًا، وكأن الضوء نفسه يحاول أن يختبئ من شيئًا ما. وأنا، كنت على أعتاب اكتشاف شيء قد يغير حياتي إلى الأبد.

الفصل الثالث عشر: الفجر الجديد (الفصل الأخير)

الظلام كان يزداد كثافة مع مرور كل ثانية. الغرفة التي كنت فيها أصبحت أكثر ضبابية، وكأن جدرانها أصبحت تحيط بي وتخنقني. في تلك اللحظة، شعرت وكأنني أسير في دوامة لا نهاية لها، مكان حيث تلتف كل الإجابات حول نفسها وتصبح أكثر غموضًا.

بينما كنت أقف هناك، محاولة فك رموز كل شيء، تذكرت كلمات المرأة مرة أخرى: "أنت جزء من هذا الظلام، هل ستستطيع الهروب؟" كان هذا هو السؤال الذي كان يطاردني، حتى في أحلامي. لكن الآن، لم أكن متأكدًا إذا كان الهروب هو الحل، أو ما إذا كان يجب علي أن أواجه هذا الظلام.

ثم جاء الصوت مرة أخرى. هذه المرة، لم يكن همسًا خافتًا. كان صوتًا قويًا، وكأن الأرض نفسها كانت تتحدث.

"أنت لا تفهم تمامًا، أليس كذلك؟" قال الصوت، وكأنه ينبعث من كل زاوية في الغرفة. "كنت دائمًا في قلب هذه اللعبة، منذ اللحظة التي ولدت فيها. لم يكن الأمر مجرد صدفة، ولم يكن هذا مجرد طريقك. لقد كنت جزءًا من شيء أكبر، وعليك الآن أن تقرر. هل ستظل جزءًا من الظلام، أم ستسعى وراء النور؟"

كانت كلماته مثل الجمر الذي يشعل في داخلي نارًا من الشكوك. ولكن في تلك اللحظة، لم يكن لدي أي خيار آخر سوى أن أواجه هذا الصراع. عرفت أنني إذا أردت أن أكون حراً، يجب أن أواجه هذا الماضي الذي ظل يطاردني طوال الوقت.

في تلك اللحظة، رأيت شيئًا غريبًا في الزاوية. كانت صورة والدي والمجهول الذي كان إلى جانبه، ولكنها كانت تتحرك ببطء. كانت الصورة تتلاشى، كأنها تحاول أن تفر من شيء كان يلاحقها. وعندما نظرت إلى الأفق من خلال النافذة، شعرت بشيء غير عادي. كان ضوء خافت ينبعث من بعيد، كما لو أن هناك شروقًا جديدًا على وشك أن يحدث. شعرت بشيء غير معروف يحيط بي، شيء يشبه الأمل، لكنه غير ملموس.

"هل ستهرب؟ أم ستواجه الحقيقة؟" تكرر الصوت في رأسه، لكنني لم أعد بحاجة للإجابة عليه.

عندما قررت أن أواجه الظلام، لم يكن الأمر مجرد قرار عقلي. كان قرارًا قلبيًا، قرارًا نابِعًا من أعماق روحي. أدركت حينها أن الحياة لا تكتمل إلا عندما نواجه ما نخافه، وعندما نلتقط خيوط الحقيقة التي تبقينا أسيرين لها.

قفزت خطوة إلى الأمام، وبدأت في فك رموز الصورة التي كانت أمامي. كانت صورة والدي، لكنني الآن بدأت أرى فيها شيئًا مختلفًا. كان هناك قصة مختبئة في تفاصيل تلك الصورة، قصة عن رجل كان يختبئ وراء ملامح القوة والهيبة. لكن الحقيقة كانت أن والدي كان ضحية، وكان هناك من دفعه إلى طريقه المظلم.

ثم، وبينما كنت أغوص في فك رموز الماضي، بدأت أرى الأشياء بوضوح. الأجوبة التي كنت أبحث عنها كانت تختبئ خلف كل قرار،

خلف كل لحظة مظلمة. كان الطريق أمامي مضاءً بشعاع من الأمل، ولكن كان عليّ أن أكون شجاعًا بما فيه الكفاية للسير فيه.

بالرغم من أنني كنت غارقًا في هذا العالم المظلم، كان هناك ضوء خافت في النهاية، وكان يتزايد ببطء. شعرت كما لو أن هذا الضوء كان يرشدني إلى الطريق الصحيح.

ثم سمعت صوتًا آخر، صوتًا بعيدًا، يأتي من داخل أعماق الزمان.

"لقد كنت دائمًا على صواب." قال الصوت، وكأنه صدى لزمان بعيد. "لكنك الآن، أخيرًا، على وشك أن تجد طريقك."

أغمضت عينيّ للحظة، وأخذت نفسًا عميقًا. كنت أعلم أنه كان الوقت قد حان. لقد تعلمت أخيرًا أن الحياة لا تأتي مع إجابات جاهزة، بل تأتي مع أسئلة يجب أن نواجهها بأنفسنا.

ومع مرور الوقت، بدأ الضوء الخافت يزداد قوة، حتى أصبح كالشمس التي تشرق من وراء الأفق. أخيرًا، تمكنت من رؤية المستقبل بوضوح، وبالرغم من أن الظلام كان يحيطني، كنت أعرف أنني كنت على وشك أن أبدأ رحلة جديدة.

في تلك اللحظة، أدركت أن كل شيء قد انتهى. كان هذا هو الفصل الأخير من هذه الرحلة. لكن الرحلة التي كانت ستبدأ الآن، كانت هي الأهم.

النهاية.